الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والادب العربي

صورة المهاجر في حكايات المهجر لعبد المسيح حداد

مذكرة من متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

الميدان: اللغة والادب العربي

التخصص: ادب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالب (ة):

بدرة خمري

إشراف الأستاذ(ة) :

أ.د عمر بن طرية

لجنة المناقشة :

أعضاءاللجنة	الرتبة العلمية	الصفة	الجامعة
عبد الرحمان عبان	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة قاصدي مرباح ورقلة
عمربن طرية	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة قاصدي مرباح ورقلة
عبد الحميد هيمة	أستاذ التعليم العالي	ممتحنا	جامعة قاصدي مرباح ورقلة

السنة الجامعية : 1447هـ الموافق ل: 2025 / 2026

العنوان

صورة المهاجر في حكايات المهجر لعبد المسيح حداد

من إعداد الطالبة بدرة خمري

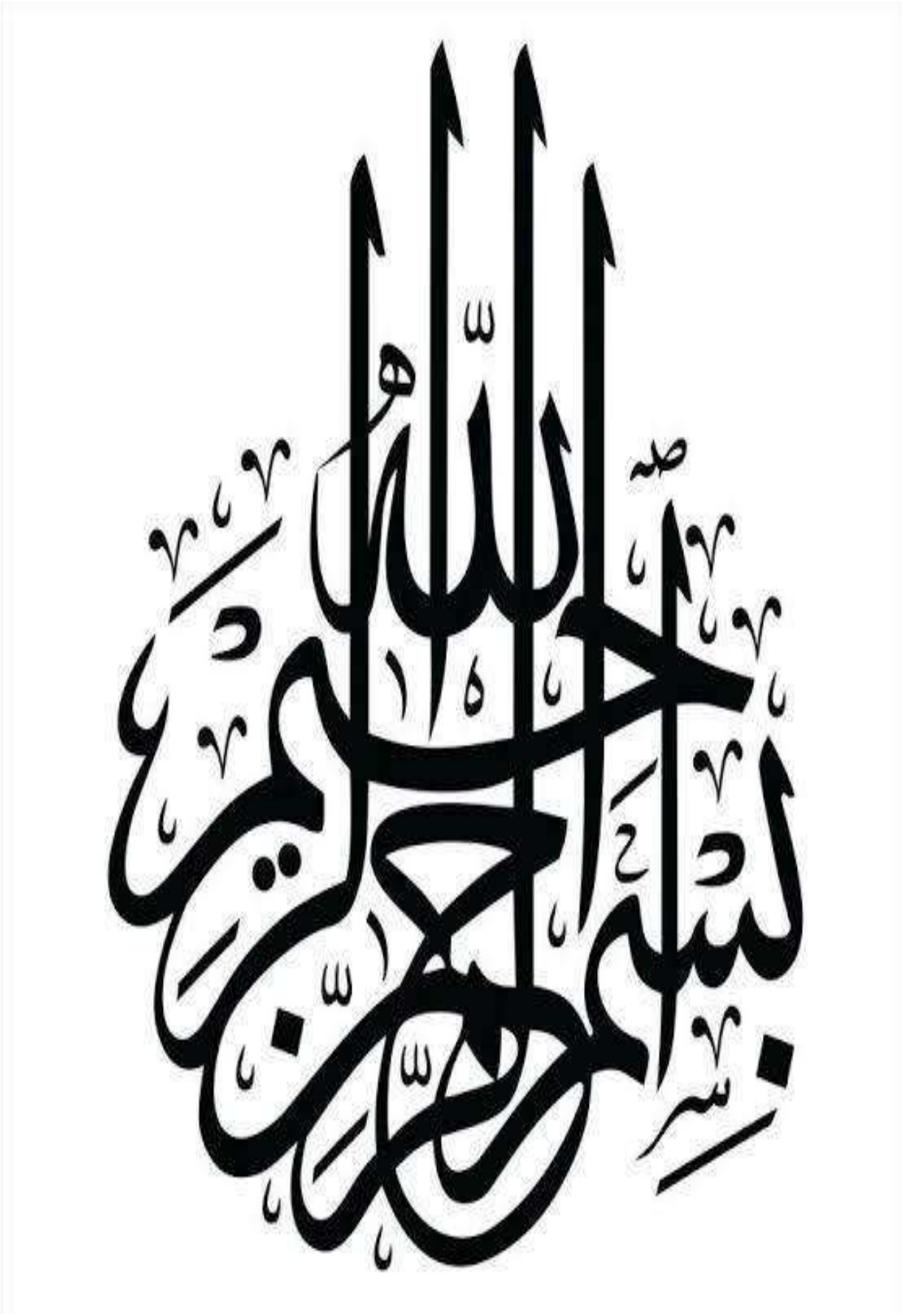
بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
فهرس المحتويات	-
ملخص	-
مقدمة	أ-ب- ج
مدخل	1
الفصل الأول صورة المهاجر في حكايات عبد المسيح حداد	8
المبحث الأول : الاغتراب والصراع النفسي لدى المهاجر.	9
المبحث الثاني: الحنين والشوق للوطن	13
المبحث الثالث: الوحدة والاندماج و الهوية	17
المبحث الرابع : أنواع المهاجر	22
الخلاصة	26
الفصل الثاني :الدراسة الفنية في تشكيل صورة المهاجر في الحكايات	28
المبحث الأول : البناء السردي في الحكايات	29
المبحث الثاني : أنواع الشخصيات في الحكايات	35
المبحث الثالث :اللغة والأسلوب والرمز والدلالة	41
المبحث الرابع : القيم الأخلاقية والنزعة الإنسانية	45
خلاصة	49
خاتمة	52
المراجع	55

شكروعرفان

أتقدّم بجزيل الشكروالعرفان إلى كل من قدّم لي الدعم والمساندة من قريب أو بعيد، وكل من ساعدني بكلمة، أو توجيه، أو نصيحة.

كما أتوجّه بالشكر الخالص إلى أساتذتي الكرام الذين لم يبخلوا عليّ بعلمهم وتوجيهاتهم طوال مسيرتي الدراسية، وكان لهم الفضل في إنجاز هذا العمل.

لكم جميعًا أسمى عبارات التقديروالاحترام.

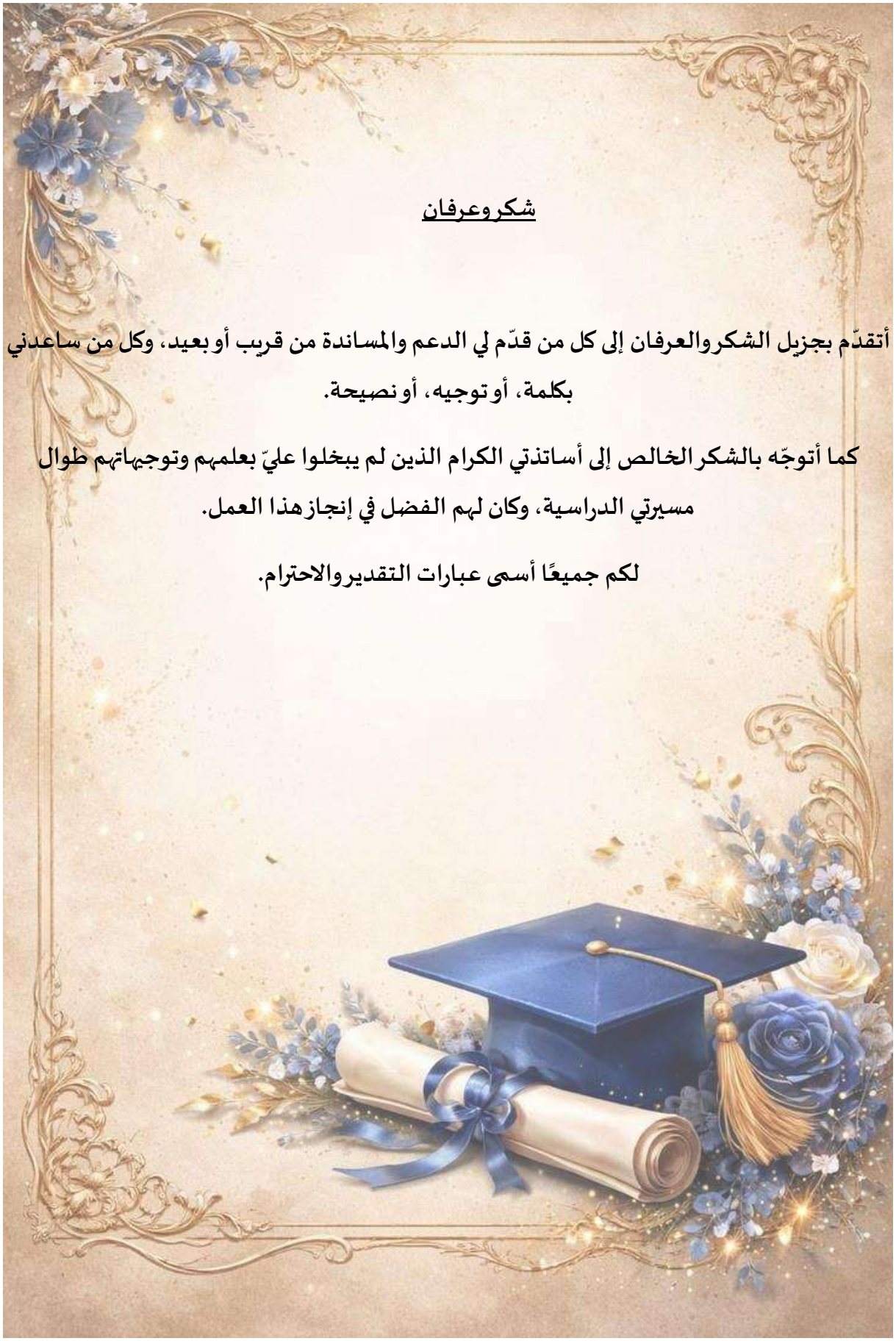

إهداء

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى من إصطحبني منذ أول خطوة في مسيرتي الدراسية، وكان لي سندًا ودعمًا لا يميل...

إلى جدي رحمه الله، الذي ربّاني واحتواني منذ طفولتي، وكان الأب والسند والطمأنينة، فرغم غيابه ما زال أثره ودعاؤه يسكن قلبي في كل نجاح أصل إليه. رحمك الله رحمة واسعة وجعل هذا العمل صدقة جارية تصل إليك.

وإلى جدتي الغالية، أطال الله في عمرها وحفظها لي، فهي النور الذي بقي لي بعده، والسند الذي أستمد منه القوة والدعاء.

وإلى عائلتي الكريمة، أهلي وإخوتي وأخواتي، الذين كانوا دائمًا مصدر حب وتشجيع ودعم.

وإلى صديقاتي وكل من وقف بجانبي وساندني ولو بكلمة طيبة، وإلى شخصٍ مميّز ساندني وكان له أثر طيب في هذه الرحلة.

أهديكم هذا العمل المتواضع بكل حب وامتنان .

الملخص بالعربية:

تتناول هذه الدراسة الموسومة بـ صورة المهاجر في حكايات المهجر لعبد المسيح حداد صورة المهاجر العربي في الأدب المهجري، من خلال الوقوف عند أهم الأبعاد النفسية والفنية التي جسدها الكاتب في مجموعته القصصية حكايات المهجر. وقد هدفت الدراسة إلى الكشف عن كيفية تصوير عبد المسيح حداد لمعاناة المهاجر العربي في المهجر، وإبراز أهم القضايا التي ارتبطت بتجربة الغربة والهجرة.

تأسست الدراسة على مقاربة النقد الثقافي بآلياتها الوصفية والتحليلية السردية، حيث تم تقسيم البحث إلى مدخل وفصلين تطبيقين؛ تناول الفصل الأول الجانب الموضوعي والنفسي لصورة المهاجر، فتم الوقوف عند مظاهر الاغتراب، والصراع النفسي، وتفكيك الأنساق الثقافية المضمرة كأزمة الهوية، والاندماج، والانسلاخ، وأنواع المهاجرين في مجتمع الغرب. وقد تبين أن المهاجر يعيش حالة من التمزق الداخلي والشتات النسقي بين التمسك بالجذور العفوية والرضوخ لمتطلبات المجتمع الجديد. أما الفصل الثاني، فقد خُصص للدراسة الفنية التي أسهمت في تشكيل تلك الصورة، عبر تشريح آليات البناء السردي، واللغة، والأسلوب، والرمز، وتحليل أبعادها الإيحائية والثقافية. وقد خلصت الدراسة إلى أن عبد المسيح حداد نجح في تقديم وثيقة أدبية ونفسية وثقافية تعكس عيوب الجملة الثقافية في الغربة، وتبرز أثر المهجر في إعادة تشكيل الذات.

الكلمات المفتاحية:

المهاجر، عبد المسيح حداد، النقد الثقافي، الأنساق المضمرة، الاغتراب، الهوية، البنية السردية، الرمز

Abstract (English):

This study, entitled "The Image of the Immigrant in 'Hikayat Al-Mahjar' by Abd Al-Masih Haddad," examines the portrayal of the Arab immigrant in Mahjar literature by exploring the psychological, artistic, and cultural patterns (complex systems) embedded in Haddad's short story collection. The research aims to reveal how the writer exposed the struggles of the Arab immigrant and highlighted the socio-cultural issues related to exile, identity crisis, and cultural alienation.

The study adopts a Cultural Criticism approach, utilizing descriptive and analytical narrative methods, and is structured into an introduction and two applied chapters. The first chapter focuses on the thematic and psychological dimensions of the immigrant's image, probing the implicit cultural undercurrents such as alienation, psychological conflict, and the tension between assimilation and self-preservation. The second chapter offers an artistic analysis of narrative structure, language, style, and symbolism, tracing how these elements function as cultural signs. The study concludes that Haddad effectively presented a realistic critique of the immigrant experience, illustrating how exile reshapes individual and collective identity.

Keywords : Immigrant, Abd Al-Masih Haddad, Cultural Criticism, Implicit Cultural Patterns, Alienation, Identity, Narrative Structure, Symbolism.

مقدمة

مقدمة

تُعتبر الهجرة ظاهرة إنسانية قديمة رافقت الإنسان منذ أن وطأت قدماه الأرض، فالإنسان بطبيعته يسعى دائماً إلى التغيير والانتقال من مكان إلى آخر بحثاً عن حياة أفضل وتحقيقاً لطموحاته وآماله. وقد ارتبطت الهجرة عبر مختلف العصور بالبحث عن الأمن، والاستقرار، والحرية، فكانت تجربة إنسانية عميقة تمسّ كيان الإنسان نفسياً واجتماعياً وفكرياً.

وقد حظيت الهجرة باهتمام كبير في مجالات متعددة، بدءاً من التاريخ والدين وصولاً إلى الأدب، لما تحمله من معانٍ إنسانية ترتبط بالأمل والمعاناة والتجربة الوجودية. ففي الجانب الديني، أولى القرآن الكريم الهجرة مكانة عظيمة وجعلها مرتبطة بالجهاد والصبر، حيث قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً﴾ [المزمل: 10]، كما ظهرت الهجرة في السيرة النبوية باعتبارها بداية جديدة ونقطة تحول مهمة في تاريخ الدعوة الإسلامية.

أما من الناحية التاريخية، فقد كانت الهجرة ظاهرة مستمرة عرفتها البشرية منذ القدم، إذ انتقل الإنسان من مكان إلى آخر مدفوعاً بالحروب أو الحاجة الاقتصادية أو الظروف المناخية، فساهمت الهجرات في قيام الحضارات وانتقال الثقافات والمعارف بين الشعوب.

ولم يكن الأدب بمعزل عن هذه الظاهرة، بل جعل منها مادة خصبة للتعبير الفني والنفسي، خاصة في الأدب الحديث والمعاصر، حيث ظهر ما يُعرف بـ"أدب المهجر" الذي عبّر عن معاناة المهاجرين العرب وصراعهم بين الوطن والمهجر. وقد ارتبط هذا الأدب بهجرة عدد كبير من الأدباء العرب، خاصة من سوريا ولبنان، إلى الأمريكيتين في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، هرباً من القمع العثماني والضيق الاقتصادي، ورغبة في الحرية وتحقيق الذات. استطاع هؤلاء الأدباء أن يحدثوا ثورة أدبية حقيقية، من خلال تحررهم من القيود التقليدية وتجديدهم للأدب العربي، فظهرت "الرابطة القلمية" و"العصبة الأندلسية" كمدرستين بارزتين في أدب المهجر.

ومن بين الأدباء الذين برزوا في هذا المجال نجد عبد المسيح حداد، الذي عالج في "حكايات المهجر" قضايا المهاجر العربي النفسية والاجتماعية والإنسانية، مقدّماً صورة واقعية للمهاجر وما يعيشه من اغتراب، وصراع، وحنين، وأزمة هوية داخل المجتمع الجديد. وانطلاقاً من ذلك، جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ **"صورة المهاجر في حكايات المهجر لعبد المسيح حداد"**، لمحاولة الكشف عن ملامح صورة المهاجر في هذا العمل الأدبي، والوقوف عند أهم الأبعاد النفسية والفنية التي شكّلت هذه الصورة.

ومن هذا المنطلق، تتحدد إشكالية دراستنا في البحث في الخلفيات الفكرية والثقافية التي تحكم علاقة الذات المهاجرة بالآخر الغربي، لتتبلور الإشكالية في التساؤل الجوهري الآتي

كيف تشكّلت صورة المهاجر العربي في مدونة «حكايات المهجر» لعبد المسيح حداد؟ وما هي الأنساق الثقافية المضمرة التي سعى النص إلى تمريرها أو تفكيكها؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية الأسئلة الآتية:

- ما هي المظاهر النفسية والثقافية التي جسدت أزمة "استلاب الهوية" وصدمة المهاجر بالمركزية الغربية؟
- كيف وظف الكاتب البنية السردية (الزمن، المكان، الرمز) كقنوات حمالة للأيديولوجيا والأنساق الثقافية المتصارعة في المهجر؟
- هل نجحت الحكايات في تعرية نسق المادية الغربية الخانقة والانتصار لأصالة الذات الشرقية؟

أسباب اختيار الموضوع:

- **الأسباب الذاتية:** تتمثل في الميل إلى دراسة أدب المهجر لما يحمله من أبعاد إنسانية ونفسية عميقة، إضافة إلى الرغبة في التعرف على تجربة المهاجر العربي ومعاناته في

الغربة. كما كان لأسلوب عبد المسيح حداد القصصي أثر بارز في جذب اهتمامنا لدراسة أعماله.

- **الأسباب الموضوعية:** إبراز القيمة الأدبية والفنية لـ"حكايات المهجر"، والكشف عن صورة المهاجر في الأدب المهجري، إضافة إلى قلة الدراسات التي تناولت عبد المسيح حداد مقارنة ببعض أدباء المهجر الآخرين (كجبران ونعيمة).

المنهج المتبع:

انسجامًا مع طبيعة الإشكالية المطروحة والأهداف العلمية التي تسعى الدراسة إلى تحقيقها، تم اعتماد مقاربة النقد الثقافي (Cultural Criticism) بوصفها منهجًا رئيسيًا للكشف عن الأنساق الثقافية والفكرية المضمرة المتخفية خلف البنى الحكائية والجمالية للنصوص المدروسة. فهذه المقاربة لا تكتفي بقراءة الظاهر النصي، بل تتجاوز ذلك إلى مساءلة الخطابات الضمنية والمرجعيات الثقافية التي تشكل وعي النص وتوجه دلالاته.

ولتحقيق ذلك، تم الاستناد إلى آليتي الوصف والتحليل السردي باعتبارهما أداتين إجرائيتين تسهمان في تفكيك مكونات الخطاب الروائي والكشف عن طرائق اشتغاله الفنية والدلالية. كما تم توظيف مبادئ سيميائية السرد كما بلورها الناقد سعيد يقطين، بهدف ضبط البنيات السردية وتحليل عناصرها الأساسية، ولاسيما ما يتعلق ببنية الزمن، ووظائف الراوي، وتمثلات الفضاء الروائي، واستجلاء أدوارها في إنتاج المعنى. وإلى جانب ذلك، استنارت الدراسة بالتصورات النقدية التي قدمها عبد الله الغذامي في مجال النقد الثقافي، للكشف عن الأنساق الثقافية العميقة وفضح ما يسميه بعيوب الجملة الثقافية العربية، ولا سيما في تجلياتها المرتبطة بثيمتي الغربة والاغتراب، وما تحيلان إليه من توترات الهوية وأسئلة الانتماء في المتن الروائي محل الدراسة.

وقد واجهتنا أثناء إنجاز هذا البحث بعض الصعوبات، لعل أبرزها قلة الدراسات المتخصصة حول عبد المسيح حداد، وصعوبة جمع بعض المصادر المتعلقة بـ"حكايات المهجر"، إضافة إلى تشعب الموضوع وتداخل جوانبه النفسية والفنية.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بخالص عبارات الشكر والامتنان إلى الأستاذ **الدكتور عمر بن طرية**، الذي تفضل بالإشراف على هذا العمل العلمي، فلم يبخل عليَّ بتوجيهاته السديدة ونصائحه القيمة، وكان لخبرته العلمية ونظرته الفاحصة أثرٌ بليغ في توجيه مسار البحث وضبط إشكالاته. فإليه أزجى أسمى آيات التقدير والعرفان على ما بذله من صبر وسعة صدر، ولما قدمه من دعم أكاديمي كان خير معين لي في إتمام هذا البحث على الوجه الأكمل.

من إعداد الطالبة :بدرة خمري

ورقلة، ماي 2026.

مدخل

مدخل: مفهوم الهجرة والمهاجر في الأدب:

مفهوم الهجرة:

لغة: مأخوذة من هجر أي صرم وقطع يقال هجر الشيء أي تركه كما تعني أيضا التباعد هاجر وطنه بمعنى ابتعد عنه أما جاء في لسان العرب أن الهجرة ضد الوصل «هجرت الشيء أي تركته وأغفلته»[1]

ومن خلال ما ورد في المعجمين القديم والحديث نجد أن كلمة هجرة هي مشترك لفظي بين عدة معاني منها: الترك، القطع، الانتقال.»

اصطلاحا:

الهجرة من أكثر المفاهيم تداولا ف العصر الحديث وقد اختلفت تعريفاتها حسب المجتمع والشخص الباحث.

نشأت الهجرة في الأدب العربي مع القرن التاسع العشر حيث هاجر شبان البلدان العربية ولاسيما سوريا ولبنان إلى أمريكا والبرازيل توقا إلى الحرية وهربا من الاضطهاد العثماني فقد كانوا من الرعيل المثقف الواعي الذي عز عليه أن يعيش أسير للظلم والعوز فانطلق يبحث عن الحرية والاكتفاء فكانت النتيجة خروج نخبة متمردة على قواعد الأدب انقسمت إلى فئتين، قلة قليلة استقرت بأمريكا ذاع صيتها وكانت السبب في ظهور شعر ورواية المنفى.

أما الفئة الأخرى فقد كان موقعها البرازيل فكان أشهر ما ذاع منها على الشعر واختلفت فيه المواضيع فظهر فيه القومي والوجداني والأسطوري والاجتماعي.

أسباب الهجرة:

انتشرت الهجرة في المجتمعات كانتشار المرض الخبيث في الجسم وكما نعلم أن لظهورها ماض لا بأس به فنجد أن لها مسببات ودوافع لظهورها ومنه نجد أن أهم أسبابها تتمثل في

أ- **الأسباب السياسية:**

لقد كان النظام الديكتاتوري ، أبرز العوامل للهجرة السياسية كان العامل الطارد لدفع الناس ،فلو نتحدث عن مهاجرو الأدب نجد أن الاضطهاد العثماني الممارس عليهم وعلى ديمقراطيتهم سببا وجيها لتركهم بلادهم وهجرتهم " لقد كان المهاجر العربي ولا سيما الأديب منه يفر من جو ثقيل يخنق الأنفاس حيث كانت الرقابة العثمانية في عهد السلطان عبد

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت، مادة (هـ ج ر)، ص 254

الحميد الثاني تترصد الكلمة وتصادر الفكر ،فكانت الهجرة بمثابة صرخة انعتا ق بحثا عن سماء لا تحدها قيود السلطان"[1]، ومنه نجد أن سياسة الاستبداد التركي ضيقت عليهم وأعدمت ديمقراطيتهم وعملت على التحكم حتى بأفكارهم وأقلامهم حتى لا يطالبوا بالاستقلال الوطني .

كما أن فتنة الحرب الأهلية في لبنان بلورت ظهور الهجرة التي ولدت أدب المنفى ، فنقلوا مشاهد ما حدث من صراع مرير وعبروا عن مشاعرهم وترجموا أحاسيسهم باستعمال القلم فمنهم من تمزقت هويته ، ومنهم من أعدمت الغربة ذاته ومنهم ما تمكن منه الحنين لأصله .

ب- **الأسباب الاقتصادية :**

نظرا للدراسات والبحوث نجد أن الدافع الرئيسي للهجرة هو الجانب الاقتصادي فطالما كان الإنسان دائم السعي نحو الأفضل ، فتدني المستوى الاقتصادي للأفراد يحد من طموحهم ويحرمهم من حياة مترفة ، ما يدفعهم للهجرة نحو إقليم أخر يقدم ظروف اقتصادية عالية تضمن لهم رفاهية العيش.

ودائما نعود للأسباب التي مر بها أدباءنا فنجد أن : طبيعة تضاريس لبنان التي كانت قليلة الأرض الزراعية نتيجة لفقر وحاجة ، كما أن نظام الإقطاع الجائر يسيطر ويحتكر الأراضي الأمر الذي دفع بهؤلاء إلى أمريكا وجعلها أرض الميعاد.

"إن ضيق سبل العيش في جبال لبنان الصخرية وجور النظام الإقطاعي الذي كان يمتص عرق الفلاحين جعل من الأمريكيتين في نظر الشباب فردوسا ذهبيا يعد بالثراء السريع والتحرر من ذل الحاجة "[2]

[1] عيسى الناعوري, أدب المهجر, الطبعة الثالثة ,دار المعارف،القاهرة، 1986 ص 42

[2] عيسى الناعوري، أدب المهجر نفس المصدرص 41 .

وهنا عند مقولة الكاتب نستنتج أن الشباب كان يعاني حتى من النظام الاقتصادي المستبد الذي حرمه من أبسط حقوقه ما جعل صورة الهجرة كنعيم الجنة ينال فيها ما تمناه في وسطه.

ت- **الأسباب الاجتماعية:**

تتمثل الأسباب الاجتماعية للهجرة في عدة عوامل تتمثل في الدين ، القومية ، اللغة والمعرفة ; فأحيانا يكون التمرد عليها دافعا للهجرة و أحيانا أخرى يكون الحنين والبحث عنها جاذبا للهجرة وبما أن طبيعة كل من المجتمعين السوري واللبناني تتميز بجينات وراثية يعود أصلها إلى أجدادهم الفينيقيين وهي حب المغامرة والمخاطرة جعل من الهجرة تحديا وهوسا دون أن ننسى دوافع الغيرة والتقليد التي برزت كأهم الدوافع للهجرة، بمجرد عودة شخص ببعض المال يشعل فتيل الهجرة في قلب ذويه والاندفاع للهجرة رغبة في الحصول على نفس درجة الثراء .

وهذا ما أكده الدكتور عيسى الناعوري " لم تكن الهجرة مجرد حاجة مادية دائما ، بل كانت عدوى تسري في عروق الشباب ، فنجاح مهاجر واحد وعودته ببعض المال كان كفيلا بأن يفرغ قرية كاملة من شبانها الذين أغراهم بريق النجاح والرغبة في ركوب المجهول تقليدا لغيرهم " قد يعد السبب طريفا إلى أن خطورته لا بأس بها "[1]

ث- **الأسباب النفسية :**

إن الدافع النفسي الأول للهجرة كان الطموح لسبيل عيش أفضل والتحرر من قيود مفروضة أدت إلى تحدي المجهول وجاءت من الرغبة في تحقيق التوازن النفسي المرهون بإشباع الاحتياجات والرغبات ، كما أن الشعور بالإحباط في تحقيق الذات يرفع شعور المغامرة ويدفع بالمهاجر إلى الأمام .

[1] عيسى الناعوري، كتاب أدب المهجر ص44

لكن لأدباء المهجر دافعا نفسـيا وراثيا أبا عن جد يعود إلى جذورهم الفينيقية الذين اتسـموا بحب الطموح والمغامرة.

فيؤكد الناعوري " إن في دم السوري واللبناني بقية من طموح الفينيقيين الأوائل الذين لم يكن البحر عندهم حاجزا بل كان جسـرا نحو أفاق جديدة ومغامرات لا تنتهي " ومنه نصـل إلى نتيجة أنهم جبلوا على حب الترحال والمغامرة بالفطرة والوراثة"[1]

ومن منظور النقد الثقافي، فإن تفكيك هذه الأسـباب والدوافع يكشـف عن كون الهجرة لم تكن مجرد انتقال جغرافي أو فيزيائي للأفراد بحثاً عن الرزق أو الحرية فحسـب، بل كانت في جوهرها انتقالاً نسـقياً وصـدمة حضـارية أولى واجهت الذات العربية الشـامية في فضـاء الآخر)أمريكا .(فالكتابة المهجرية، وتأسـيس التكتلات الأدبية كـ الرابطة القلمية، لم يأتيا فقط لتطوير آليات الفن السـردي والشـعري وتجديد قوالبه، بل تشـكلا كآلية دفاعية ومقاومة ثقافية واعية لحماية الهوية الإنسـانية والروحية للمهاجر من الذوبان في الأنسـاق المادية الرأسمالية الغربية المهيمنة التي حاولتتدجين الذات المغتربة.

<u>نتائج الهجرة :</u>

لقد كانت الهجرة بمثابة سلاح ذو حدين فنجد فيها إيجابيات كما نجد عليها سلبيات، فلو بدأنا بالجانب السلبي نجد انه يعود على عدة جوانب منها ما يأتي :

- **<u>نتائج الهجرة في الأدب المعاصر :</u>**

إن الهجرة لم تكن مجرد انتقال جغرافي للأدباء فقط بل كانت ثورة وتمرد على الأدب القديم فمن نتائج احتكاك الأدباء المهاجرين بالغرب ظهور مدرسـتين اسـتجابة لشـعورهم بضـرورة التكتل لحماية هويتهم وتطوير فنهم .

[1] عيسى الناعوري ،كتاب أدب المهجرص 45

الأولى هي الرابطة القلمية تأسست عام 1920 في نيويورك والثانية العصبة الأندلسية ولكل منهما مزايا فكان للكتاب أن يخرجوا بالجديد ويبدعوا إذ أقر الرائد **ميخائيل نعيمة** " نحن لا نريد لغة محنطة في القواميس بل لغة نابضة بالحياة تعبر عن خلجات نفوسنا " الغربال ، فهذا يعني أن الأدباء تمردوا على الأدب القديم وخرجوا بأدب نفس عن أرواحهم[1] .

بعد الهجرة وبسبب التأثر بالحضارة الغربية أصبح الأدب يخاطب الجميع دون التركيز عن مقومات العقيدة والعرف، دون استثناء يتغنون بالسلام والإنسانية دون عنصرية، حيث خرج الأدب العربي بفضل شعراء نيويورك من إطاره الإقليمي الضيق إلى رحاب الإنسانية الشاملة فأصبح إيليا أبو ماضي وجبران يخاطبان الإنسان في كل زمان باحثين عن الحق والزمان و يتعاملون مع الطبيعة على أساس أنها كائن حي ينبض بالمشاعر لا جماد يرى بالعين المجردة فقط " إن الطبيعة عند المهجريين ليست موضوعا للوصف بل هي الرحم الذي تعود إليه النفس هربا من ضجيج الحضارة"[2]، كما وصفت نادرة سراح إنسانية أدباء المهجر اللامشروطة " لقد استطاع أدباء المهجر أن يرتفعوا بالأدب العربي إلى مستوى الإنسانية الشاملة ، فلم يعد الشاعر المهجري يعني لنفسه أو لأمته فحسب ، بل صار يعني للإنسان في كل مكان وزمان مما أسهم في انتشار التسامح والحب اللامشروط"[3]

تغير الأدب من أدب ممل يدور بين المدح والرثاء إلى منفس لعمق الروح بجميع الجوارح فأصبح يلمس أعماق المرء

ويلملم الجراح ويخلق مآلا جديدا لديه ، فتحدث الأدباء المهاجرون برومانسية وسبحوا في الخيال والوا إلى الوحدة والسكينة .

أدب المهجر:

[1] عيسى الناعوري, كتاب أدب المهجر, ص 158

[2] إحسان عباس, الشعر العربي الحديث, بيروت ,دار الثقافة 1978ص 198

[3] نادرة سراج ,أدباء الرابطة القلمية ,دراسات في شعر المهجر ,مصر ,دار المعارف. / ص 113 1974

يعد أدب المهجر أدب جديد معاصر نشأ في القرن التاسع عشر نتيجة هجرة مجموعة من النخبة إلى أمريكا والبرازيل، فتأثر النخبة بالثقافات الغربية أنتج أدبا مميزا نسب لهم فكان " ذلك الأدب الذي أنشأه الأدباء العرب الذين هاجروا من بلادهم وبخاصة من سوريا ولبنان إلى المهاجر البعيدة في الأمريكيتين الشمالية والجنوبية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين"[1]

كما أنه يعتبر رؤية وجدانية جديدة للحياة " هو ليس مجرد كلمات كتبت في الخارج بل هو تيار فكري وجمالي نقل الأدب العربي من حيز التقليد إلى رحابة التجديد الإنساني والتأمل الفلسفي"[2]

فيعود سبب هجرة هؤلاء كما ذكرنا سابقا إلى الظلم والاستبداد ، القمع السياسي ، الرقابة الصارمة وسياسة غلق الأفواه ، الحاجة والضيق الاقتصادي أناء الحكم العثماني.

فكانت لهجرتهم نتيجة الإبداع في الأدب وطورا من كل قديم و خرجت منهم مدرستين.

- **الرابطة القلمية:**

هي مدرسة تأسست على يدي أدباء المهجر في مدينة نيويورك سنة 1920 ، فكانت بمثابة الولادة الجديدة للأدب الذي استفاق من نوم عميق ولم تكن مجرد مدرسة فقط بل كانت المأوى الذي جبل هؤلاء النخبة على التحالف

يرى النقاد أن هذه المدرسة هي الفتيل الذي أوقد شعلة بروز المدارس الرومانسية في الوطن العربي مثل مدرسة **أبولو** وهي التي حررت الشعر من جموده ف " إن أعظم ما قدمته

3 صابر عبد الدايم ,ماهية أدب المهجر ,دراسة تأصيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأملية في الأدب المهجري ,الطبعة الأولى, دار المعارف القاهرة 1993ص 112

[2] صابر عبد الدايم، ماهية أدب المهجر ص 95

الرابطة القلمية للأدب العربي هو إيمانها بأن الشـاعر نبي ورسـول ، وأن الكلمة سـلاح لتحرير الروح ، وبذلك نقلوا الأدب من كونه صناعة لفظية إلى كونه تجربة إنسانية عميقة " [1]

- **العصبة الأندلسية :**

لقد كانت بمثابة الفرع الثاني لأدب المهجر وهي المدرسـة التي ضـمت أدباء المهجر الجنوبي البرازيل والأرجنتين، تأسـست عام 1933 على يد الرائد **ميشـال معروف** وأبرز أقطابها **شـفيق المعلوف و إلياس فرحات.**

تميزت المدرسـة بكونها النقيض لمدرسـة الرابطة القلمية فهي تمثل الثلة الأكثر ارتباطا بتراثها وماضيها .

سـميت بالعصـبة الأندلسـية لأن روادها أكثر ارتباطا بالأندلس ، فتعود إلى الحقبة التي بنى فيها العرب حضـارتهم في الأندلس، فهم شـعروا بضـرورة اسـتعادة بناء الماضي من روح الموشـحات والجماليات الأندلسية.

" إن العصبة الأندلسية كانت تمثل الوسطية في أدب المهجر فلم تجمد على القديم تجمدا ميتا ولم تندفع في التجديد اندفاعا يقطع صلتها بالجذور بل حاولت بعث الروح الأندلسـية في قالب عصري يعبر عن وجدان المهاجر العربي في بيئته الجديدة"[2]

ومنه أثبتت لنا العصـبة أن الهجرة لا تعني نسـيان الأصـل بل أحيانا كانت السـبب لي التشـبث بالجذور والتمسك باللغة كوسيلة للمقاومة النفسية في بلاد الغربة.

<u>خصائص أدب المهجر:</u>

[1] صابر عبد الدايم ،ماهية أدب المهجر ص 96

[2] عيسى الناعوري ،أدب المهجرص 188

- **<u>الخصائص الموضوعية :</u>** تميز أدب المهجر ب:

النزعة الإنسانية ،الحنين إلى الوطن،التأمل ،حب الطبيعة والنزعة الروحية :.

- **<u>الخصائص الفنية:</u>** تمثلت الخصائص الفنية لأدب المهجر في :

الوحدة العضوية ،التحرر من القيود العروضية ،بساطة اللغة والرمزية والتشخيص

<u>نتائج أدب المهجر:</u>

- ظهور الشعر الحر (شعر التفعيلة) وكسر قواعد القصيدة العمودي فيذكر الدكتور صابر أن المهجريين "خلخلوا البنية التقليدية للقصيدة، فجعلوا الموسيقى تابعة للحالة النفسية وليس العكس"[1].
- الوحدة العضوية .
- تحول الأدب إلى سلاح دفاع عن حقوق الإنسان والعدالة والحرية و كسر جموده الماضي
- التخلص من اللغة القاموسية الصعبة.
- ظهور العمق الفلسفي والجدلي حول الوجود والعدم
- ظهور مدارس رومانسية جديدة كمدرسة الشعر الحر و مدرسة أبولو

لقد كان أدب المهجر مليئا بإيجابياته حيث ذاع صيته و برز أفقه

[1] صابر عبد الدايم ، ماهية أدب المهجر ص 212

الفصل الأول: صورة المهاجر في حكايات -عبد المسيح حداد

1. الاغتراب والصراع النفسي لدى المهاجر
2. الحنين والشوق الى الوطن
3. الوحدة والاندماج والهوية
4. أنواع المهاجر
5. الخلاصة

1. المبحث الأول: الاغتراب والصراع النفسي لدى المهاجر.

يعتبر الصراع النفسي والاغتراب من الركائز الأساسية التي قام عليها أدب المهجر ،فكانت هذه المشاعر وليدة لاصطدام الأديب بالبيئة الغربية عنه حسيا وفكريا وروحيا.

فكان الصراع النفسي في أدب المهجر قوة محركة للإبداع حيث يصور لنا الصراع الذي يخالج عمق الإنسان والمتمثل في الميل البشري للسعادة والاطمئنان والشوق الحارق للإبداع الذي قد يضحي في سبيله بكل رغبة شخصية " حياة الفنان لابد أن تكون مليئة بألوان الصراع "[1]

فتجلت مظاهر الصراع في الصراع بين الواقع والمثال أين عاش المهاجرون صراعا بين عالمهم الروحي وبين مجتمع المادة والآلة الخانق والحيرة التي كانت نتيجة التأمل كلما ارتطموا بكابوس الواقع ويصور ميخائيل نعيمة هذا التيه وهذا الصراع في قوله :" نحن يا بني عسكر قد تاه في قفر سحيق / نرغب العود ولا نذكر من أين الطريق".[2]

أما الاغتراب فلم يكن مجرد غياب عن الوطن بل كان أكثر من ذلك أين ظهر الحنين إلى الماضي والوطن وحرك بواعث أخرى للتأمل ، ليصور لنا شفيق معلوف لحظة الوداع والاغتراب القسري :"أطلوا بوجه من كوى السفن واجم.. كأني بهم دمع بكته الشواطئ".[3]

إذ تجلى الاغتراب النفسي كنوع من أنواع الاغتراب أين لقبت نيويورك بمدينة التنين من كثرة وحشتها ووصف ميخائيل نعيمة هذا الاغتراب في مقالته "مشهدان"، حيث يرى الشمس مقنعة بأنفاس التنين المتصاعدة من المصانع، مما يولد لديه شعوراً بالرفض والوحشة.[4]

وظهرت الغربة الروحية كنوع ثالث من الاغتراب التي مثلت الهوة بين القيم الموروثة وواقعهم الجديد الأمر الذي جعل جبران خليل جبران دائم التساؤل عن معنى الوجود في ظل حياة طاغية كالدواليب.

[1] صابر عبد الدايم ، ماهية أدب المهجر ص 42

[2] صابر عبد الدايم ،ما هية أدب المهجر ص 43

[3] صابر عبد الدايم ،ماهية أدب المهجر ص 133

[4] صابر عبد الدايم ،ماهية أدب المهجر ص 168

فتبين لنا الأبحاث الأدبية أن للمهاجر في الرواية صورة متعددة الزوايا فمرة تعكس لنا صراع شخصيته بين آن وآخر، ومرة تصور لنا الحنين إلى الوطن والرغبة في الاندماج.

وفي رواية حكايات الهجرة رصد لنا الكاتب عبد المسيح حداد أدق تفاصيل الاغتراب والصراع النفسي الذي عان منه المهاجر السوري واللبناني فكانت قصصه مرآة نفسية تظهر حسنات وسيئات الحياة الاجتماعية في المهجر حيث صرح قائلا:

«إذا كان المرء يلجأ إلى المرآة لإصلاح شعره وفرقه وربط عقدة عنقه، فالمرآة النفسية يصلح ما يلزم من مظاهره النفسية» [1]

فبدأ حكاياته كأخبار ونوادر ثم طورها لتصبح قصصا ناضجة بما يكفي لتحليل الصراع النفسي للشخصيات وكل هذا من أجل إصلاح العيوب، فلم تكن كتاباته عبارة عن محض الخيال بل كانت وثيقة اجتماعية كتبت بأسلوب أدبي.

إن حداد اختار أن يشرح عيوب الجالية السورية في أمريكا بأسلوب واقعي بدل الترفيه.

إذ اعتمد في عمله على منهج الصراع الدائم فكان يصوره في جل القصص إذ تمثل الصراع بين القيم الموروثة والمتطلبات المادية ما أسفر عن مواقف كوميدية آناء وآناء أخرى تراجيدية.

فلو تناول الاغتراب في رواية حكايات المهجر نجد أنه ليس مجرد ابتعاد عن المكان بل هو شعور يخالج المهاجر بأنه غريب وسط زحمة نيويورك.

فيتيه في بوصلة الزمن ما بين ماضي جميل و حاضر مميت، فكان للربح المادي ثمنا باهضا وهو خسارة عزة النفس والوفاء للجذور.

كانت الشخصيات هنا في القصص عبارة عن نماذج بشرية تعبر عن شتاتها النفسي واغتراب روحها.

تتناول القصة تحولاً جذرياً في شخصية المهاجر "طنوس نجار" الذي غير اسمه في أمريكا ليصبح "ثوماس كاربنتر" في البداية، كان طنوس عاملاً مجتهداً يرسل الحوالات والرسائل بانتظام لأهله في سوريا. ومع مرور الوقت، وخاصة خلال سنوات الحرب والمجاعة في سوريا، ترسخت في ذهنه فكرة أن عائلته قد هلكت

[1] عبد المسيح حداد، حكايات المهجر , مؤسسة هنداوي ص 115 2021

بالكامل، فبدأ يخطط للعودة لاحقاً ليرث أملاكهم وحده. إلا أنه صُدم بعد الهدنة برسالة من والده تخبره أنهم جميعاً أحياء ولكنهم مدينون بمبلغ كبير حافظوا به على حياتهم بانتظار مساعدته. تنتهي القصة بطنوس وهو يواصل العمل بجهد ليسدد ديون أهله، منكراً أخبار المجاعة التي حدثت في سوريا ليكذب الواقع الأليم الذي كان يتمنى استغلاله.

فظهرت مشاعر الاغتراب هنا في تحويل الاسم من عربي إلى أمريكي محاولا بهذه الخطوة إثبات اندماجه في المجتمع ما قتل مشاعره العاطفية اتجاه ذويه، فسنين الغربة الطويلة والركض وراء الكسب المادي قتل فيه كل المشاعر الأسرية وظهر ذلك أين استبدل أمل نجاتهم بأمل وراثتهم بعد موتهم ، لقد صور لنا الكاتب طنوس في أعلى ذروة من الاغتراب أين يصبح المرء غريبا عن أعز ما لديه ويفقد الشعور والإحساس بهم فكان اغترابه الداخلي سبب في إحساسه بالذنب لما اكتشف حقيقة عدم موته ما جعله ينكر كل الأخبار في تلك الحقبة لينكر حقيقة أنه تمنى موتهم.

صور لنا الكاتب البطل على أنه بطل مأساوي فهو يعمل مقابل إعالة أهله لكن مقابل ذلك تحول إلى حطام ذات من شدة الاغتراب فلم يعد يعرف نفسه إن كان أجنبيا أم سوريا ضف إلى ذلك عقدة الذنب التي كثيرا ما تلاحقه ، فهي دفعته لتبني الإنكار لكي تهدأ قليلا

يظهر لنا صوت الكاتب من خلال التحولات النفسية العميقة والتنكر للأصول بما فيها تغيير الاسم فقد وثق لنا كل المشاهد لقطة بلقطة كما أنه نال هدفه بكون صوته يمثل المرآة النفسية لكل مهاجر أين يرى أخطائه ويعالجها فيها وختم لنا القصة بصوت يجمع بين السخرية والواقعية المرة، حيث يبرر البطل تصرفه بشعار "خبزك بعرق جبينك" ليغطي على أنانيته.

ومن منظور النقد الثقافي، يكشف تفكيك المسار السلوكي لشخصية البطل طنوس نجار عن حضور نسق ثقافي مضمر قوامه استلاب الهوية والانصياع الطوعي لهيمنة المركزية الغربية بوصفها نموذجًا للتفوق المادي والنجاح الاجتماعي .فالتحول من الاسم العربي الدال على الجذور والانتماء إلى الاسم الأمريكي البديل »توماس كاربنتر «لا يمكن النظر إليه باعتباره مجرد إجراء عملي تفرضه ضرورات الاندماج أو متطلبات بيئة العمل، بل يتجاوز ذلك ليغدو علامة ثقافية مشبعة بالدلالة، تعكس رغبة دفينة في إعادة تشكيل الذات وفق مقتضيات الثقافة المهيمنة، بما يستبطنه ذلك من نزوع إلى طمس .معالم الهوية الأصلية والتخفف من حمولتها الرمزية

وفي هذا السياق، يبدو أن النسق الرأسمالي قد تمكن من التغلغل في البنية النفسية للبطل، فأعاد ترتيب منظومته القيمية وفق منطق المنفعة الفردية والمصلحة الذاتية، الأمر الذي أسهم في تصدع الأنساق الأخلاقية والأسرية الموروثة. ويتجلى ذلك بوضوح في انتقال الشخصية من التعلق بمصير أهلها والحرص على نجاتهم إلى استبطان رغبة خفية في غيابهم، طمعًا في الاستحواذ على إرثهم وممتلكاتهم دون شريك. ومن ثم، تكشف هذه التحولات عن الكيفية التي تمارس بها البيئة الثقافية الجديدة فعلها الرمزي على الذات المغتربة، ليس فقط عبر إعادة تشكيل أنماط سلوكها، وإنما أيضًا من خلال إنتاج اغتراب داخلي عميق يفضي إلى تشويه الوعي بالانتماء وإعادة بناء منظومة القيم وفق مقتضيات النسق المهيمن[1].

كان ولا زال عبد المسيح حداد صاحب صوت المصلح الاجتماعي الذي يستخدم القصة القصيرة كأداة لتشريح النفس السورية في بلاد الغربة.

تندرج قصة "الأمل والألم" ضمن الأدب المهجري الذي يعكس تجربة إنسانية معقدة يعيشها المهاجر العربي، حيث تتداخل الأبعاد النفسية والوجدانية لتشكل بنية سردية قائمة على الصراع الداخلي. فلا تقتصر القصة على نقل حدث، بل تتجاوز ذلك لتكشف عن أزمة نفسية عميقة تتجسد في ثنائية الأمل والألم.

لتعرض لنا القصة مسار شخصية مهاجرة غادرت وطنها بحثًا عن مستقبل أفضل، مدفوعة بأحلام كبيرة وآمال واسعة. غير أن الواقع في المهجر يأتي مغايرًا للتوقعات، إذ يصطدم البطل بقسوة الحياة ووحدة الغربة، مما يؤدي إلى تآكل ذلك الأمل تدريجيًا. وهكذا تتحول الرحلة من حلم بالنجاح إلى معاناة نفسية مستمرة، يعيشها البطل في صمت وتأمل.

وفي تصوير مشاهد القصة يركز لنا حداد على البناء النفسي للقصة الذي يقوم على تقابل الأمل مع الألم "الأمل في القصة لا يمثل حالة إيجابية خالصة، بل يتحول إلى عبء نفسي كلما اصطدم بواقع المهجر القاسي."[2] بمعنى أخر يبقى دائما الأمل سبب معاناة بطل قصتنا لأنه به يرفع سقف توقعاته لكي يصدمه

[1] أرتور آسا بيرجر، النقد الثقافي: مقدمة تفصيلية للمفهوم والمنهج، تر: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، ص 45.

[2] عبد المسيح حداد حكايات المهجر ص42

الواقع فالبطل هنا يعيش بين انتمائه العاطفي للوطن ووجوده الفعلي في المهجر "يعيش المهاجر حالة اقتلاع نفسي تجعله معلقًا بين مكانين دون أن ينتمي كليًا لأي منهما." [1]

فينتهي به الأمر إلى فقدان التوازن ودوام الإحساس بالغربة "يتحول الصراع من مجرد حنين إلى أزمة هوية، حيث يفقد المهاجر وضوح صورته عن ذاته."[2]

تميز صوت الكاتب السردي بكونه صوتا داخليا للشخصية يروي هواجسها أكثر من أحداثها ليعتمد التأمل و التفكير الداخلي مما يلغي المسافة بين الراوي والشخصية ويعزز البعد النفسي للنص.

2. المبحث الثاني: الحنين والشوق إلى الوطن

امتاز أدباء المهجر بتناولهم مواضيع الشوق والحنين إلى الوطن كونهم عاشوا التجربة فأدلوا بها، واستظهروا صور وطنهم في وصفهم للطبيعة، وعبروا صارخين عن شوقهم ما بين الأسطر وحداد تناول كل المشاعر في حكايات المهجر، فكان قد أبهر الجميع بمن فيهم رائد الرابطة القلمية "جبران خليل جبران"، ولاستكشاف هذه الجوانب الحساسة سنسبح في قصة "إبن غير عصره" حيث تدور أحداث قصتنا حول البطل المدعو "طنوس أو أبو ريا"، تمثل ماضيه في كونه كان خادم لفائدة عائلة سورية في بلده أين قضى معظم سنين عمره لتأتي اللحظة الحاسمة التي يقرر فيها الهجرة إلى أمريكا بصدد جمع المال فيهاجر ويشتغل لكن قلبه ضل مرهونا بماضيه وشوقه لبلده، فكان يعيش حالة ذعر حين يتابع الأخبار ويرى ويسمع ما حل ببلده من حروب ومجاعة، شوقه للوطن جعله وليدا بين أحلامه فيقول "كان أبو ريا يرى في منامه كل ليلة أنه في ضيعته وأنه يحرث أرضه ...ثم يستيقظ ليجد نفسه في مصنع نيويورك، فيضيق صدره وتأخذه الغصة"[3] ، حتى يقرر في النهاية العودة.

هنا حداد عبر عن حنين جماعي لكافة المهاجرين بتصوير مشاعرهم وتسليط الضوء عليها فجسدها كمرآة للنفس أين قال: "نحن بحاجة إلى مرآة نرى فيها أنفسنا ونشاهد بعيوننا مظهرنا فنصلح فيه مواطن الخلل".[4]

---

[1] إحسان عباس ، الشعر العربي الحديث في المهجر ص 164

[2] إحسان عباس ، نفس المصدر السابق ص 167

[3] عبد المسيح حداد، حكايات المهجر ص 143

[4] عيد المسيح حداد، حكايات المهجر ص 115

فجرى قلم حداد في الحنين والذود عن الوطن مؤكدا أن قلوب المهاجرين ظلت ورائهم، فكان الحنين أنين الغربة ومشـــاعرهم النائية وهذا ما أكده الدكتور صـــابر عبد الدايم في كتابه "أدب المهجر" حيث صـــرح "أظهرت هذه الروابط مواهب المهجريين وعبرت عن أراءهم ونقلت أصـواتهم المشـوبة بأنين الغربة وأصـداء الحنين إلى بلدهم بلاد والعالم كله" .[1]

كما يرى عيسـى الناعوري أن أدب المهجر يقوم أسـاسـا على صـدق الشـعور وعمق الوجد، وأن الحنين إلى الوطن من أبرز السمات التي صاغت هذا الأدب وميزته .[2]

تعد قصـة ابن غير عصـره، النموذج البارز الذي اتخذ من الغربة موضـوع محوري ومركزي لتحليل الجانب النفسـي، فيظهر الحنين في صـورته كأكثر من عاطفة وجدانية تتعدى إلى إثبات الحضـور لصـياغة هوية جديدة ،ويظهر هنا صـــوت الكاتب الســـردي بموضـــوعية تمزج بين الدقة النبرة الذاتية التي تعكس عمق الشخصيات ما يجعل من السرد وسيلة تكتشف بها مراحل تطور الوعي في ظل تجربة الغربة .[3]

لقد صور لنا حداد قصة أخرى تحت عنوان "عبد الفطرة"، ذلك الشاب المهاجر الذي يعاني من ازدواجية الهوية، فيظهر بشـخصـيتين، شـخصـية ظاهرة تمثل الرجل الأمريكي المتمدن وشـخصـية باطنة تعكس صـورة الرجل البلدي بفطرته، فرغم اندماجه في المجتمع الأمريكي المتمدن إلى أن الحنين طغى على وجدانه فزاده شـــوقا على شـــوقا إلى بلده ما جعله يقدم على اتخاذ قرار صـــارم وهو العودة إلى الوطن الذي تغير عليه، فهنا حداد صـور لنا ضـياعه الذاتي من الشـوق وعدم اندماجه في المجتمعين فلا وطنه أصـبح وطنه ولا المهجر تقبل الشاب.

هنا يتجلى الصراع الذي صوره لنا الكاتب بين الحنين إلى الوطن والتعلق بالمهجر.

وتميز صـــوته الســـردي بكونه مرآة نفســـية تحلل وتراقب ونبرته نقدية ســـاخرة ليصـــف تناقضـــات بطل القصـة، كما ظهر متعاطف مع المهاجر الذي يقف في المنتصـف باسـتشـهاده بمقطع من قصـيدة ميخائيل نعيمة حبل التمني :أتمنى لو كنت لا أتمنى.

[1] صابر عبد الدايم ،ماهية أدب المهجر ص 61

[2] عيسى الناعوري, اللغة العربية والأدب العربي ,المجلد التاسع ,طبعة 2004 دمشق ص 55

[3] محاضرة في مادة السرديات العربية الحديثة والمعاصرة سنة ثالثة ليسانس ، شعبة الدراسات الأدبية ، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة 1 المرجع العام في السرديات

لقد كانت قصص حداد كما وصفها لنا رائد الرابطة القلمية جبران خليل جبران الوصف الدقيق لمشاهد حياتنا فأخذ بنا من العاطفة إلى المنطقية صور المشاعر من زوايا مختلفة وفي كل مشهد عزز الإثارة ووضح لنا الرؤية، فاتفق كل النقاد على قصص عبد المسيح حداد هي السجل التاريخي الذي يدرس الحياة السورية من عدة أوجه منذ بداية الهجرة "إن كنت بهذه الأقاصيص لم أبلغ الغاية ولم أرسم ما يجب رسمه من مشاهد النفس السورية العميقة فلسوف يقذف بي في الجدول الذي فيه إلى العمق حيث أستطيع التعمق في درس الحياة السورية من وجوه عديدة منذ ابتدأت المهاجرة إلى ما صرنا عليه"[1] .

فيعتبر الحنين والشوق أهم الركائز التي اعتمدها أدباء المهجر، حيث مثل الوطن للمهاجرين: "نشيد غربتهم وملاذ أشواقهم فقد تباينت طرق التعبير عنه.

حداد درس الحنين والشوق لجميع الفئات العمرية وهذا ما سنتناوله في قصة "حبال الغسيل" التي تدور أحداثها عن العم أبو غانم الذي أصر على أولاده ليذهب إليهم في أمريكا، وبعد استجابتهم له اكتشف أنها ليست أمريكا العظيمة التي كانت في باله وأنها تختلف تماما عن تلك التي كانت في خياله، ثم بدأ رحلة الحنين إلى قريته، إذ قال" لأنه بذلك يكون قد حصل على أمنيته وزار الجنة ولكنه منذ وصل ابتدأ يشعر بنفسه أنه كان مغرورا بتصوراته التي لم يرى لها أثرا في نيويورك، وما قطع بضعة أيام حتى صار يشعر بميل قوي عن عظمة أمريكا وبشوق عظيم إلى حالة قريته الخالية من كل أثر المدينة ."[2]

وهنا يظهر لنا فشل أولاده في تسليته رغم اصطحابه لمختلف المرافق لكنه كان يرى أن "جسر الساقية في قريته أجمل من جسر بروكلن وأن الحمار أريح من القطارات السريعة"[3] .

يبدأ العم في التعبير عن امتعاضه الشديد من قيود المدينة، فيكره الربطة التي تخنقه والبنطلون الذي يقيد حركته واصفا إياها بالسلاسل والقيود .

ورفض الاعتراف بعظمة التطورات في أمريكا فكان يسلي المهاجرين من بلده، بجوابه عن سؤالهم عن ماذا أعجبه في أمريكا فأجاب ببراءة حبال الغسيل، وتنتهي القصة هنا بقرار العم في العودة إلى موطنه وشراء حبل الغسيل الذي أعجبه.

[1] عبد المسيح حداد ،حكايات المهجر ص 15

[2] عبد المسيح حداد، حكايات المهجر ص 165

[3] عبد المسيح حداد، حكايات المهجر ص165

تتجسد لنا في هذه القصة رؤية الكاتب الذي يعرض لنا رؤية المهاجر البسيط لتطورات العصر من خلال حنينه لبيئته الأولى ووثق كلامه فقال "إن هذه المرآة المعنوية ليست إلا الرواية المصورة لعادة من عادتنا وتقليد من تقاليدنا، فيها ترعيننا النفسية، حسنات حكاياتنا"[1].

كما برز لنا الصراع الجيلي بين العم وأولاده فهم يريدون تسليته وهو يرفض التكيف في بلاد أجنبية.

فهنا تكشف لنا الحوارات في القصة أن الوطن بالنسبة للمهاجر القديم هو الحياة في حد ذاتها.

وظهر صوت الكاتب هنا كصوت مرآة داخلي يصف لنا حالة الندم التي يشعر بها الشيوخ عند المجيء إلى نيويورك واصفا إياهم أنهم "يجلسون في زوايا البيوت يندبون الحظ[2]" وهذا يعبر عن شوق كبير يظهر في الامتعاض ورفض الاندماج.

وظهر أيضا صوته في السخرية المرة ذات الطابع الفكاهي وفي المقطع الذي يتحدث فيه عن عدم إعجاب العم بكل ما حوله إلى حبل الغسيل لكي يصور لنا الفرق والهوة الشاسعة بين تفكير ابن القرية وتطورات المدينة، فالحنين هنا في هذه القصة ليس وصف مباشر للوطن فقط بل هو شعور يتسلل عبر التفاصيل الصغيرة التي تذكر الشخصية بأصلها الأول، لذلك يصبح البيت والشارع والأداة المنزلية وحتى الحركة اليومية، عناصر تكشف هشاشة التكيف مع المنفى [3].

ومن منظور النقد الثقافي، يمكن قراءة الامتعاض الشديد الذي أبداه الشيخ أبو غانم تجاه مظاهر المدنية الأمريكية، من أزياء حديثة ووسائل نقل متطورة كالقطارات السريعة، بوصفه شكلًا من أشكال المقاومة الثقافية الشعبية التي تتصدى للأنساق الوافدة وتسائل شرعيتها الرمزية. فرفضه لهذه المظاهر لا ينبع من موقف انفعالي عابر أو من عدم القدرة على التكيف مع الواقع الجديد، وإنما يعكس تمسكًا ضمنيًا بمنظومة قيمية راسخة ترى في الحداثة الغربية تهديدًا للهوية وأنماط العيش المألوفة[4].

وفي هذا الإطار، يكتسب تفصيل بسيط مثل «حبال الغسيل» قيمة دلالية تتجاوز وظيفته المادية المباشرة، ليرتقي إلى مستوى العلامة الثقافية المشبعة بالمعنى؛ إذ يغدو رمزًا لنسق الحياة الشرقية القائم على البساطة والعفوية والألفة الإنسانية، في مقابل نسق الحداثة الغربية الذي تحكمه الآلة، والتنظيم

[1] عبد المسيح حداد، حكايات المهجر ص115

[2] عبد المسيح حداد، حكايات المهجر ص 166

[3] حكايات المهجر ، سرديات الحنين إلى الوطن ،عنب بلدي .، (ريف دمشق: عنب بلدي، 16 نوفمبر 2023)،العدد 701 بدون إسم الصحفي

[4] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005، ص 112.

الصارم، والإيقاع المتسارع للحياة. ومن ثم، فإن استدعاء هذا العنصر اليومي وتحوله إلى المحرك الرئيس لحنين الشخصية وقرارها بالعودة إلى الوطن، يكشف عن قوة التفاصيل الهامشية في استحضار الذاكرة الثقافية وترسيخ الشعور بالانتماء.

وعليه، لا يُفهم الحنين في هذا السياق بوصفه انفعالًا نفسيًا عابرًا أو نزعة وجدانية مجردة، بل يتجلى باعتباره موقفًا ثقافيًا مضمرًا يحمل في طياته رفضًا أيديولوجيًا لعمليات تدجين الذات وإخضاعها لمنظومات مغايرة تسعى إلى اقتلاعها من جذورها الأولى وتجريدها من خصوصيتها الرمزية والحضارية. وهكذا يتحول الحنين إلى فعل مقاومة رمزية، تستعيد من خلاله الذات المغتربة حقها في التشبث بذاكرتها الثقافية والدفاع عن كينونتها الأصيلة في مواجهة ضغوط النسق المهيمن.

الحنين هنا هي تلك المشاعر التي تطغى على المرء فتخلق فيه توقا دائما، يضرب ذاته كالزلزال فيحن تارة ويحاول التأقلم تارة أخرى، ليعيش وسط حالة من القلق والضغط وهذا ما صوره حداد في أغلبية قصصه.

كما أكد إدوارد سعيد أن: "المنفى هو حالة من الخسارة التي لا تعوض، وهو صدع قسري لا يمكن رأبه بين الكائن البشري ومكانه الأصلي، وبين النفس وموطنها الحقيقي" [1]، ويرى الناعوري أن نشأة الحنين كانت بعد خيبات أمل متكررة في الغربة واصطدامهم بالواقع، فأصبح الحنين لديهم محورا إبداعيا، فلابد من الاغتراب النفسي قبل الاغتراب الجغرافي فقال: "إن الشاعر المهجري ظل يحمل وطنه في قلبه، حتى وهو في قمة اندماجه في المجتمع الجديد، فكان شعره صرخة حنين دائمة إلى الملاعب الأولى وهروبا من مادية الغرب إلى روحانية الشرق"[2] .

3. المبحث الثالث الهوية، الوحدة والاندماج

بما أن أدباء المهجر عاشوا صراعا نفسيا وفكريا بين عالمين، أخذوا من مفاهيم الوحدة، الاندماج والهوية ركائز أساسية لصياغة كتاباتهم فمثلا لو نأخذ الاندماج لدى كتاب المهجر نجد أنه لا يمثل الانصهار التام في المجتمع بقدر ما يمثل محاولة التكيف للمهاجر في مجتمعه الجديد.

[1] إدوارد سعيد ، تأملات حول المنفى , ترجمة ثائر ديب ,بيروت, دار الآداب ص 168 2004

[2] عيسى الناعوري أدب المهجر ص 5

فيرى الناعوري أن الاندماج كان ضرورة حياتية مرسومة بمشاعر الحنين إذ قال: "إن العربي في المهجر قد استطاع أن يتكيف مع محيطه الجديد ولكن قلبه ظل يخفق بكل ما هو شرقي فكان اندماجه اندماجا ماديا في المعيشة وانفصالا روحيا في العاطفة" [1].

وهنا نظهر صورة الاندماج على أنه اندماج خارجي لا غير، فكونه يتحدث الإنجليزية ويتعامل معهم بها لا يعني إلغائه لحقيقته، أما الدكتور صابر عبد الدايم فيرى أن الاندماج هنا هو اكتساب ثقافي لا يمثل التبعية

فكانت لأدباء المهجر فائدة كبيرة من التجديد الغربي، وسخروها لفائدة أدبهم، فقال: "لقد كان شعراء المهجر جسرا حضاريا اندمجوا في الثقافة الغربية ونهلوا من فلسفتها لكنهم صاغوا ذلك الاندماج في قلب عربي وجداني خالص" [2].

أما مفهوم الهوية في أدب المهجر فينحصر في ذلك القلق الذي يتأرجح بين الأمل في الغربة والشوق إلى الوطن، فتظهر لنا الهوية على أنها فعل مقاومة، فالمهاجر غريب في أمريكا لأنه عربي وغريب عن وطنه بسبب أفكاره الجديدة وهذا ما أكده عيسى الناعوري "هوية المهجري هي مزيج من التمرد على الواقع المر في الوطن والاعتزاز بالأصل الذي لا يمكن الفكاك منه"[3] .

أما الدكتور صابر عبد الدايم فيقول أن الهوية: "تتجلى الهوية في أدب المهجر من خلال الصدق الوجداني، حيث لم تكن العروبة لديهم مجرد شعار بل كانت ملاذا يحميهم من الضياع في ماديات العرب"[4] .

فهنا الهوية دائمة الارتباط بالجانب الروحي في ظل مادية أمريكا، فكانت اللغة والدين والقيم السورية واللبنانية بمثابة بطاقة تعريفية تثبت وجودهم.

أما الوحدة فتظهر لنا بمفهومين، الأول الارتباط بالبشر والثاني الوحشة التي يعاني منها كل مهاجر فهي تبدو كتحويل بالألم الذي يعاني منه الغريب إلى نزعة إنسانية والدعوة إلى وحدة البشر فيراها الناعوري

[1] عيسى الناعوري ،كتاب أدب المهجر ص 79

[2] صابر عبد الدايم ،ماهية أدب المهجر ص 68

[3] عيسى الناعوري ،كتاب أدب المهجر ص 88/87

[4] صابر عبد الدايم ،كتاب ماهية أدب المهجر ص42

على أنها دافع التفلسف لأدباء المهجر فقال: "لقد نادى شعراء المهجر بالوحدة الإنسانية، فكانت وحدتهم الذاتية في الغربة وهي الدافع للبحث عن وحدة كبرى تجمعهم بالكون" [1].

أما الدكتور صابر عبد الدايم فيصرح أن "الوحدة في أدب المهجر ليست انغلاقا بل هي تأمل عميق في الذات الإنسانية للوصول إلى الجوهر المشترك بين البشر جميعا" [2].

وهذا ما عالجه عبد المسيح في عدة قصص من حكايات المهجر ومنها "قصة مدينة الأمريكان"، تلك القصة التي تدور أحداثها حول البطل السوري الذي قرر مغادرة وطنه نهائيا، فباع كل ما لديه واتجه مع عائلته إلى أمريكا، راغبا في الاندماج مع المجتمع الغربي الذي يرى فيه رمزا للحرية والغنى بينما كان يزدري وطنه ويراه مكانا للذل والخمول" لما غادر أبو راجي فلفل سوريا قاصدا أمريكا، وطن النفس على ألا يعود إلى فباع كل ما كان له من عقار وأثاث وحمل عائلته المؤلفة من أم راجي وولدين إلى بلاد الناس ، وفور وصوله صدمه واقعها المر الواقع المختلف عن توقعاته، فأصابه الانقباض والندم وبدأ بالنفر من كل ما هو أمريكي حتى ذويه معتبرا ذلك استهزاء به ، فكان كل هذا نتيجة تعرضه لسلسة من المواقف الحرجة فتحولت النظرية وانقلبت الرؤيا بعد أن كان يرى سوريا بلاد الذل، أصبح يراها بلاد العز، وأمريكا بلاد الذل.

فالقصة هنا بعنوانها ترمز إلى الاندماج القسري في مجتمع مختلف، كما أن عبد المسيح حداد صور لنا الصراع الداخلي بين الانتماء إلى القديم ومحاولة التكيف على الجديد، ليكشف لنا عن أزمة الهوية في فضاء المهجر، لصعوبة الاندماج في المجتمع الغربي، فتطغى مشاعر الوحدة والعزلة النفسية.

تميز صوت الكاتب السردي هنا كونه صوت واقعي ناقد وساخر في نفس الوقت، يظهر كخبير يطلع على خفايا المهاجر السوري في أمريكا فيبدأ بتقديم خلفية اجتماعية حول كيفية تحول نظرة المهاجر قبل الهجرة وبعدها لبلاده وللغرب، كما استعمل الكاتب نبرة السخرية ليصور لنا تناقض البطل في كيفية ازدراءه لبلده قبل الهجرة والتحول المفاجئ بعد الهجرة بمجرد اصطدامه بمر الواقع.

[1] عيسى الناعوري أدب المهجر ص 87

[2] ماهية أدب المهجر صابر عبد الدايم 94

كما برز صوته على أسلوب المقارنة ليبرز أهم المفارقات السلوكية لبطل القصة، ليسرد لنا بذكاء اندهاشه في هذه العبارة "قد أعجبه منظرها ودهش لجمال البنايات" [1]، كما يصور لنا جهل البطل واستهزائه بالقيم الفنية حين رأى اللوحات تباع بألاف الدولارات على أنها سخافة وبلاهة.

فكانت الخلاصة إن وظف الكاتب صوت سرده بوعي يعكس كل صور ضياع المهاجر من عدة زوايا.

أما قصة تمثال الحرية فهي تصوير الكاتب لانعكاسات التغيرات الجذرية في البنية الاجتماعية والأسرية للمهاجر، فتدور أحداثها حول البطل نخلة المعصوب مع زوجته الشابة "ألما" حين يقرران الهجرة إلى أمريكا كان البطل هنا يعامل زوجته وفق الموروث التقليدي الذي زرع به وألفى عليه أبائه وهو أن الزوج هو سيد البيت وعلى الزوجة طاعته، فبعد هجرته واجه صعوبات مادية الأمر الذي فرض على زوجته الخروج للعمل كون النساء في أمريكا ينجحن في البيع لتنجح الزوجة وتصبح المعيلة للبيت أي تتبادل الأدوار مع زوجها بينما هو يتولى مسؤولية البيت والأطفال وتتغير معاملة الزوجة لزوجها بتوبيخه وتهديده بالطرد مبررة سلوكها بتفسيرها لتمثال الحرية أنه يعطيها حق التمرد والأمر والنهي.

زوجها يعيش الضياع النفسي ويتمنى العودة لبلده ليستعيد حق الرجولة فيه.

فهنا يصور لنا حداد كيف فقد البطل هويته الذكورية هويته كرجل شرقي، فقد دوره الاقتصادي في إعالة البيت، ليفقد معه دوره في السيادية كانت السيادة هنا مرهونة بالإنفاق.

أما الاندماج فيظهر بشكل مختل التوازن، فالزوجة هنا اندمجت عمليا واقتصاديا، بينما اندماج الزوج كان قسريا، فهنا نستنتج أن البيئة الأمريكية تفرض قيودها لتعيد تشكيل الروابط الاجتماعية بما فيها الأسرية.

أما الوحدة الذاتية فظهرت على ملامح الزوج الذي يشعر بها وانكسر نفسيا رغم وجوده مع زوجته وأولاده، ما جعله يشعر بالدونية. فهنا وعلى حسب أراء النقاد نرى أن حداد برع في تصوير انقلاب الموازين الاجتماعية وصور الارتباك الذي يصيب المرأة أو الرجل، حين يواجه سيادة المرأة كما أن تمثال الحرية له دلالة رمزية واضحة، فالتمثال هنا لا يعبر فقط عن المعلم الأمريكي بل يعبر عن التحرر والأمل وعند حداد

[1] عبد المسيح حداد ، حكايات المهجر ص 28

أخذ معنى مزدوج فهو يعبر عن الاندماج في عالم المهجر ومن جهة أخرى يبرز أوجه الاختلاف بين شعار الحرية

وفي ضوء مقولات النقد الثقافي، تغدو حكاية (تمثال الحرية) فضاءً كاشفًا لعملية إعادة تشكيل الأنساق الأبوية التقليدية عند انتقالها إلى فضاء المهجر؛ إذ إن النظام القيمي الشرقي يستمد شرعية سيادة الرجل من موقعه داخل دورة الإنتاج ومن البنية الاجتماعية الموروثة، غير أن انخراط الست إدما في سوق العمل الرأسمالي الأمريكي وتحقيقها لاستقلالها المادي أسهما في إعادة توزيع موازين السلطة داخل الأسرة. ويقرأ النقد الثقافي هذا التحول بوصفه تجليًا لصراع الأنساق، حيث تتراجع الهيمنة الذكورية التقليدية لصالح نسق جديد يؤسس المكانة الاجتماعية انطلاقًا من القوة الاقتصادية والقدرة الإنتاجية. وعليه، لم يعد «تمثال الحرية» مجرد رمز للانعتاق السياسي، بل غدا علامة ثقافية تحيل إلى التحولات العميقة التي مست العلاقات الجندرية والأسرية في سياق الهجرة والاغتراب.والواقع النفسي الذي يخالج المهاجر.[1]

ميز حداد صوته السردي في هذه القصة بالنبرة الواقعية التحليلية، أين أخذ دور المراقب ليرصد لنا أدق تحولات النفس البشرية، فسرد لنا بصوت يميل إلى إبراز أوجه الاختلاف بين حالتين متناقضتين للبطل وهو السيادة والوطنية، كما استعمل نبرة ساخرة ليصور لنا تبادل الأدوار بين الأب والأم وتجلى ذكائه السردي في ربط الرمز "تمثال الحرية" بالحالة الاجتماعية للأسرة، فكان الصوت السردي هنا يوثق الصراع بين الرجولة والتحرر.

ليختم لنا القصة صوت منكسر على لسان بطله يعبر عن الوحدة والاستفسار وكشف لنا إمكانية البيئة الجديدة في إعادة صياغة الهوية الفردية والاجتماعية بطريقة مأساوية.

كما يمكن أخذ عنوان آخر مثل "مدرسة الغربة" أين روى لنا قصة البطل المهاجر الذي يزدري أبناء وطنه ودائما ما بنعتهم بالتخلف ويمجد الغربة التي دائما يربطها بحالهم فيقول أنهم لولا الغربة لما عرفوا شيئا، ثم يأخذ بالحديث عن البلدان ويعبر بنبرته ولهجته ليسرد لهم قصص مصرية ليوهم الحاضرين بخبرته العميقة فيأتي الفصل الذي روى فيه البطل لهم أن الحكومة المصرية تفرض على محكومي الإعدام ثمن حبل المشنقة ولا يمكن أن تتم العملية بدون دفع هذه الضريبة فيستفسره أحد الحاضرين قائلا: ماذا لو

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005، ص 184.

المحكوم لم يدفع ضريبة شنقه فأجاب بكل ثقة: لا يشنق، لتنتهي الجلسة بضحك هستيري أدركت فيه الجماعة أن مدرسة إلياس ليس سوى وسيلة للتضليل والادعاء.[1]

فهنا يظهر بطلنا بهوية مزيفة، تلبس عدة أقنعة ينتقل من هوية سورية، إلى مصرية إلى أمريكية مستعملا اللغة والادعاءات ليثبت تفوقه ويغطي عن إحساس النقص الذي يعاني منه، فيختار البسطاء ليعرض عليهم ذلك.

أما اندماجه هنا فكان اندماجا سطحيا ومظهرا خارجيا لا غير، فهو لا يكتسب من الغربة سوى اللغة لخداع الآخرين، فهنا الغربة لم تكن له سوى ساحة لممارسة غروره والادعاء.

لقد كان وحيدا رغم وجوده وسط الحاضرين وذلك لاستعلائه وشعوره بأنه أعلى منهم فقطع روابط الأخوة وجعل علاقته بهم قائمة على السخرية.

فأشار النقاد لبراعة حداد في استخدام الكوميديا السوداء لنقد المهاجرين الذين يقللون من أبناء بلدهم ويستعلون عليهم فالخبرة في الغربة لا تكتسب بطول المدة بل بعقل رزين يفهم ماهية الحياة فيها.

كان الصوت السردي للكاتب هنا ساخرا وناقدا فقد نقل لنا الأحداث ورسم لنا ملامح إلياس ووصفه بالمهاجر القديم الذي يربط مدة بقائه بمنحه حق الوصاية الفكرية على الآخرين، فالصوت هنا مسلط الضوء على التعالي الذي يصيب المهاجرين والذين لقبهم بخنفشاري المهجر.

كما كان يظهر صوت الكاتب في النبرة التهكمية عند سماع حكايات إلياس، فهنا يتركه يتحدث ليفضح نفسه بكلامه.

ويصور لنا السخرية في مشهد الثقة ليبرز بلاهة معلوماته، فقد برع في قدرته على تقليد الشخصية فمثلا "اللهجة المصرية المصطنعة" عبارة تصور للقارئ كيف كان يتلون البطل ليبهر من حوله.

لينتهي السرد هنا بانتصار المنطق على الادعاءات ما يجعل صوت الكاتب هنا تربويا بإمتياز يهدف إلى معالجة المفاهيم المغلوطة عن الغربة.

[1] عبد المسيح حداد ، حكايات المهجر ، ص 60

4. المبحث الرابع: أنواع المهاجر

المهاجر المندهش/المهاجر والآخر/صورة المرأة المهاجرة

إن المهاجر في الأدب المعاصر هو ذلك الأديب الذي ترك وطنه الأم واستقر في الغربة فعرف بأنه رائد وليس مجرد مهاجر، يعيش التشتت بين انتمائه لوطنه ومحاولة الاندماج في المجتمع الذي هو فيه.

فيتغير مفهومه من كاتب إلى آخر فالدكتور صابر عبد الدايم يرى أن المهاجر ليس مجرد شخص انتقل من مكان إلى آخر، بل هو نموذج إنساني وفني تشكلت هويته عبر تجربة الغربة القاسية والمبدعة "إن المهاجر الذي أوتي حظا من اللغة الكونية وأعارته الروح جناحيها ليحلق في عالم الغيب والشهادة، هو الذي يرى الأشياء من خلال شعوره، لا من خلال بصره المحدود، فيستنطق الظواهر الكونية والمشاهد اليومية العادية ليستنبط منها أسرارا لا نهاية لها"[1] .

ويراه الناعوري على أنه حالة شعورية وإنسانية معقدة إذ قال: "المهاجر هو العربي الذي حمل معه تاريخه ولغته إلى أرض غربية ليعيد اكتشاف نفسه من جديد من خلال الصدام مع الآخر، محاولا التوفيق بين خير الغربة وكرامة الوطن"[2] .

لقد اختلفت المفاهيم في تعريف وتصوير المهاجر، فكل منهم وصفه من زاوية مختلفة إلى أن أتى عبد المسيح حداد بحكايات المهجر ليبرز لنا أهم أنواع الصور التي تجلى فيها المهاجر.

- **المهاجر المندهش:** ظهرت لنا صورة المهاجر المندهش من خلال قصة " مدرسة الغربة" حيث ركز فيها الكاتب على تصوير تأثير الصدمة الحضارية على المهاجر وكيف حوله ذهوله إلى شخص

[1] ماهية أدب المهجر صابر عبد الدايم ص115

[2] عيسى الناعوري أدب المهجر ص 80

مدعي للمعرفة الفائقة ، فتذكر لنا تفاصيل القصة كيف ينبهر بعظمة البناء والاختراعات فيعقد لسانه أمام ناطحات السحاب وقطار النفق "يصل المهاجر إلى أمريكا فيصمت صمتة الذهول في عظمة هذه البلاد ويعقد لسانه ، شغل فكره وجنانه بالتأمل بما وصلت إليه فكرة الإنسان المتمدن في فنه وصناعته وعلمه ، يتأمل مثلا ناطحات السحاب فيعدها واحدة واحدة "[1]

لتأخذ به هذه الدهشة إلى التمثيل والادعاء بأن الغربة هي من فتحت بصيرة المهاجرين " أهل بلادنا مساكين ، متأخرون بكل شيء ولولا الغربة لكانوا لا يفرقون عن إفريقيا" [2] بينما حقيقته تدلي بأنه لا يفقه حتى أبسط الأمور من قواعد الكتابة والقراءة فتنتهي قته بموقف فكاهي ، ليدرك من حوله ماهية حقيقته التي تتميز بانتمائها إلى مدرسة التزييف .

ملحص القصة هنا في كون " مدرسة الغربة" التعبير الذي يمثل المهاجر المندهش وهو في الواقع ضحية لانبهاره بالمدينة الحديثة ، فيحاول تعويض ذلك النقص بالادعاءات المعرفية التي لا أساس لها وكالعادة كان ومزال حداد الركن الأساسي لتجسيد مشاعر الغربة وتصوير لنا أدق تفاصيل شخصية المهاجر .

- **المهاجروالأخر:** ظهر المهاجر والأخر بصورة جد واضحة في قصة " زواننا لا قمحهم" فكانت القصة نموذج فذا في أدب عبد المسيح حداد لأنها جمعت بين رصد الصدام الظاهري بين الشرق والغرب و عقد المهاجر النسبية التي كان سببها الانبهار بالأخر[3] .

فصور لنا المهاجر الذي يعاني من الاستلاب والضياع الثقافي ، فبرز رفيق على شكل مهاجر خجول بأصله ، لكي تظهر أناه في حالة من الدونية ، فهو تبنى عادات غربية ووفق تلك العادات قام بالتكبر على ذويه ، فهو أصبح يرى أن أصوله هي العائق الذي يشوه صورته الأمريكية الجديدة فتحولت شخصيته وأهدافه من مهاجر منتج يسعى لإعانة أهله إلى منتج استهلاكي ، ينفق كل ما لديه ليرضي عين الأخرين ، مما أدى إلى ضياع أهله

[1] عبد المسيح حداد، حكايات المهجر ص 110

[2] عبد المسيح حداد، حكايات المهجر ص110

[3] عبد المسيح حداد، حكايات المهجر ص 158

عاش في وهم ،حيث وضعه في مخيلته المنبهرة بالغرب ، فلم يرى في الأخر سوى النقاء والجمال ولم يكن يعي أن خلف هذا البريق صدمة واقعية أسوء من واقعه.

أما صورة الأخر فظهرت على شكل صديقته مالي التي تمثل المجتمع الأمريكي ، فهي لم تكن مجرد امرأة بل كانت ذلك الرمز الذي يبدو من بعيد " قمحا " وبعد القرب منها تظهر على حقيقتها أنها " زوان" أي " فقر، استغلال وقذارة" ، لقد ظهرت بشخصية جذابة ، استغلت رفيق واستنزفته ماديا ومعنويا لسنوات فهي مثلت الجانب النفعي في الحضارة الغربية ببراعة فهي لا تبالي بالمشاعر بقدر اهتمامها بالمادة ، كانت نهاية صورتها الصدمة التي أعادت رفيق إلى صوابه وحقيقتها البائسة بينت لرفيق مدى جمال أهله الذي أغمض عينيه عليه .

مرت القصة هنا بثلاث مراحل : مرحلة الانبهار الساذج ثم التبعية إلى أن وصلنا إلى مرحلة الارتحال العكسي أين استفاق رفيق من سباته .

وفي ضوء المقاربة الثقافية، تكشف صدمة المهاجر بالآخر في حكاية «زواننا لا قمحهم» وسائر الحكايات التي تؤرخ لارتطام الذات المهاجرة بالمدينة الأمريكية، عن تفكيك النص لنسق الوهم الثقافي الذي يتأسس على تمثلات مثالية للغرب بوصفه فضاءً للخلاص وتحقيق الأحلام. فقد تشكل في وعي المهاجر، قبل تجربة الرحيل، متخيل ثقافي يرى في أمريكا الفردوس الموعود ومجالًا للوفرة والحرية والارتقاء الاجتماعي، غير أن الاحتكاك المباشر بواقع المهجر أفضى إلى زعزعة تلك الصورة المتخيلة؛ إذ انكشف أمامه نسق استهلاكي صارم تحكمه قيم الإنتاج والمنفعة، ويعيد اختزال الإنسان في حدود وظيفته الاقتصادية داخل منظومة مادية متسارعة الإيقاع.

وأمام هذا التصدع الذي أصاب الصورة المثالية للآخر، تنخرط الذات المهاجرة في إعادة مساءلة تصوراتها السابقة، فتتجه نحو استعادة مرجعياتها الثقافية الأصلية بوصفها آلية رمزية لمقاومة الشعور بالتشيؤ والاغتراب. ومن ثم، لا يُقرأ هذا الارتداد نحو الجذور باعتباره مجرد حنين عاطفي إلى الوطن، بل باعتباره فعلًا ثقافيًا يعيد الاعتبار للهوية الأولى ويؤكد حق الذات في صون خصوصيتها في مواجهة الضغوط الاندماجية التي يفرضها النسق المهيمن.

وفي هذا السياق، يكتسب عنوان الحكاية «زواننا لا قمحهم» كثافة رمزية خاصة؛ إذ يتحول إلى علامة ثقافية دالة على تفضيل الأصل، بما يحمله من بساطة وصدق وانتماء، على نموذج الآخر

الذي فقد بريقه المثالي بعد اختبار الواقع. وهكذا يغدو الاختيار بين «الزوان» و«القمح» تعبيرًا مجازيًا عن المفاضلة بين هوية متجذرة في الذاكرة الجماعية، ووعود ثقافية اكتشف النص هشاشتها وحدود قدرتها على تحقيق المعنى الإنساني المنشود[1].

كان الصوت السردي لحداد هنا تهكمي وعظي ، استخدم سخرية حادة في وصف رفيق لكي ينفر القارئ من أسلوبه ، فهنا لم يهاجم مالي بقدر ما هاجم سذاجة وضعف رفيق أمامها ، كان صوته منحاز بوضوح للقيم الشرقية ويرى أن الهجرة تحمل في طياتها مخاطر كثيرة مالم يكن المهاجر واع بشكل كاف حتى لا يتعرض للاستلاب.

حداد هنا قدم دراسة نفسية للمهاجر الذي يظن أن الاندماج يعني الانسلاخ ليثبت في النهاية أن كرامته تكمن في تقبله لهويته لا الانسلاخ عنها وإتباع زيف المظاهر .

- **صورة المرأة المهاجرة :** إن قصة " تمثال الحرية" هي القصة التي تبرز لنا دراسة حداد الاجتماعية والنفسية العميقة لصورة المرأة المهاجرة ، حيث ظهرت هنا كقطب أحدث تغيير في البنية التقليدية للأسرة السورية في الغربة [2]

فظهرت لنا في صورة امرأة تمردت على الخضوع و تحولت إلى سيدة بسبب عجز زوجها في لعب دوره الاقتصادي ، فتحولت إلى قوة اقتصادية منقذة لعائلتها من الديون ونجحت في ميدان العمل ، ليتغير دورها من تابعة إلى محرك أساسي لبقاء الأسرة .

اعتزت بذاتها ورفضت رضوخها للسيادة الذكورية التقليدية ، وربطت شرعية سلطتها بتمثال الحرية أين أصبح رمزا لتبرر به رفع يديها ، فكانت البيئة الاقتصادية هي الدافع الذي فتح أبواب النجاح للنساء وغير القيم وعمل على تذويب المفاهيم الشرقية حول رجل البيت ليتيح للمرأة فرصة تجربة الحرية التي غيرتها وغيرت في البنية العائلية

لتتبنى فلسفة الغرب في الحرية و تصبح علاقتها مع الأخرين علاقة تمكين ، لأنها وبكل بساطة لجأت إلى قوانينهم وقيمهم كذرائع لتغير من البنية الأسرية الشرقية .

[1] إدوارد سعيد، الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، ص 112.

[2] عبد المسيح حداد، حكايات المهجر ، ص 172

لقد صور لنا الكاتب في هذه القصة صورة المرأة المهاجرة المتأمركة لكن هذا لا ينفي وجود نساء بصورة تقليدية أصيلة يمنحن الدفء ويتمسكن به وهذا ما عرضه حداد في قصص أخرى من نفس الرواية

ظهر هنا صوت الكاتب كمراقب للتحول الاجتماعي الذي صور لنا كيف تتحول صورة المرأة من تقليدية خاضعة إلى متأمركة متمردة ، واصفا لنا مرارة التحول ، أين أصبح الزوج أجيرا عند زوجته و ختمها بانكسار صوته حين استسلم لمر واقعه أملا العودة إلى البلاد ، وفي الأخر ظهر لنا أن صورة المرأة المهاجرة المتحررة مرتبط بالمكان وأنها قد تصطدم بالقيم القديمة إن عادت .

5. خلاصة :

وفي ختام هذا الفصل، يتضح لنا أنّ عبد المسيح حداد قدّم صورة المهاجر في حكايات المهجر بصورة عميقة ومركّبة، تجاوزت الوصف السطحي لتغوص في أعماق النفس الإنسانية، حيث لم يعد المهاجر مجرد شخص انتقل من مكان إلى آخر، بل أصبح كيانًا يعيش صراعًا داخليًا دائمًا بين ماضٍ يتشبث به وحاضر يحاول التأقلم معه. فقد كشف الكاتب من خلال قصصه عن معاناة نفسية حقيقية، تجسدت في الاغتراب الذي لم يكن جغرافيًا فقط، بل امتد ليشمل اغترابًا نفسيًا وروحيًا جعل المهاجر غريبًا حتى عن ذاته.

كما برز الصراع النفسي كعنصر محوري في تشكيل هذه الصورة، إذ يعيش المهاجر حالة من التمزق بين القيم التي نشأ عليها ومتطلبات الواقع الجديد، فيجد نفسه في مواجهة مستمرة بين ما يريد أن يكونه وما يُفرض عليه أن يكونه. وقد تجلى هذا الصراع في صور متعددة، منها التردد، والندم، والإنكار، بل وحتى فقدان الإحساس بالانتماء، مما يجعل التجربة المهجرية تجربة قاسية رغم ما تحمله من آمال في ظاهرها.

ومن جهة أخرى، شكّل الحنين إلى الوطن قوة وجدانية طاغية، ظلّت تلازم المهاجر في مختلف مراحله، حيث لم يستطع الانفصال عن جذوره مهما طال به الزمن في الغربة. فالحنين هنا لم يكن مجرد شعور عابر، بل كان حالة نفسية مستمرة تعيد تشكيل وعي المهاجر وتؤثر في نظرته للحياة، فيتأرجح بين الرغبة في العودة والاضطرار إلى البقاء، ليعيش بذلك حالة من اللااستقرار النفسي.

أما على مستوى الهوية، فقد أبرز حداد أزمة حقيقية يعيشها المهاجر، تتمثل في صعوبة التوفيق بين الانتماء الأصلي ومحاولة الاندماج في المجتمع الجديد، حيث يظهر هذا الاندماج في كثير من الأحيان شكليًا لا يمسّ العمق، مما يخلق ازدواجية في الشخصية وشعورًا بالضياع. كما بيّن الكاتب أن بعض المهاجرين قد ينجحون ظاهريًا في التأقلم، إلا أنهم يظلون داخليًا مرتبطين بهويتهم الأولى، وهو ما يعمّق من حدة الصراع الداخلي لديهم.

ولم يقتصر حداد على تقديم نموذج واحد للمهاجر، بل عرض أنماطًا مختلفة تعكس تنوع التجربة المهجرية، فهناك المهاجر المندهش، والمهاجر المنبهر بالآخر، والمهاجر الذي يعاني من ضياع الهوية، إضافة إلى صورة المرأة المهاجرة التي شهدت تحولات عميقة في ظل البيئة الجديدة. ومن خلال هذه النماذج، استطاع الكاتب أن يرسم لوحة إنسانية شاملة تُبرز التناقضات التي يعيشها المهاجر بين الواقع والمأمول.

كما تميّز صـــوت الكاتب الســـردي بقدرته على الجمع بين الطابع الواقعي والتحليل النفســـي، مع توظيف السخرية والنقد الاجتماعي لكشـف عيوب الجالية المهاجرة، فجاءت قصـصـه بمثابة مرآة تعكس واقعهم وتدفعهم إلى مراجعة ذواتهم. وبذلك، لم يكن هدفه مجرد السـرد، بل الإصـلاح والتوجيه، من خلال تقديم نماذج حية تحمل دلالات عميقة.

وعليه، يمكن القول إن صورة المهاجر عند عبد المسيح حداد جاءت صورة إنسانية صادقة، تعكس تجربة مليئة بالتحديات والتناقضـــات، حيث يتداخل فيها الأمل بالألم، والانتماء بالغربة، والواقع بالحلم. وقد نجح الكاتب في تجسـيد هذه التجربة بأسـلوب أدبي متميز، جعل من حكايات المهجر وثيقة أدبية ونفسـية تسجل معاناة المهاجر العربي وتحولاته.

وهذا ما يمهّد للانتقال إلى الفصـــل الموالي، الذي ســـنعالج فيه الدراســـة الفنية، للوقوف على الآليات والأسـاليب التي اعتمدها الكاتب في تشـكيل هذه الصـورة، وكيف سـاهم البناء السـردي واللغة والرمز في تعميق دلالاتها وإبراز أبعادها المختلفة.

الفصل الثاني: الدراسة الفنية في تشكيل صورة المهاجر في الحكايات

1. البناء السردي في الحكايات
2. أنواع الشخصيات في الحكايات
3. اللغة والأسلوب والرمز والدلالة
4. القيم الأخلاقية والنزعة الإنسانية
5. خلاصة

1) المبحث الأول : البناء السردي في الحكايات:

يأتي هذا الفصل استكمالًا للجانب التطبيقي الذي تم التطرق إليه في الفصل الأول، والذي ركّز على دراسة الأبعاد النفسية والاجتماعية في النصوص المختارة من رواية حكايات المهجر. وإذا كان الفصل الأول قد أبرز تأثيرات الاغتراب والواقع الاجتماعي على الشخصيات من حيث المعاناة والصراع الداخلي، فإن هذا الفصل يتجه نحو مقاربة أكثر تقنية وجمالية، تهدف إلى تحليل آليات اشتغال الخطاب الروائي وبنيته الفنية.

ويُعدّ هذا الانتقال من التحليل النفسي والاجتماعي إلى التحليل البنيوي والفني خطوة منهجية ضرورية، تسمح بتوسيع زاوية النظر إلى النصوص المدروسة، من خلال الكشف عن كيفية تشكّلها سرديًا ولغويًا، وكيفية بناء شخصياتها داخل نسيج روائي متكامل. فالرواية، باعتبارها مجموعة من القصص القصيرة، تقدم تنوعًا في التشكيل السردي يتيح إمكانية مقاربتها من زوايا فنية متعددة.

وانطلاقًا من ذلك، سيتم في هذا الفصل اعتماد مقاربة تحليل الخطاب الروائي كما نظّر له الناقد سعيد يقطين، من خلال دراسة البنية السردية، وتحليل الشخصيات، والوقوف عند خصائص اللغة والأسلوب، إضافة إلى إبراز النزعة الإنسانية والقيم الأخلاقية التي تتخلل النصوص. ويهدف هذا التحليل إلى الكشف عن البنية الداخلية للخطاب الروائي، وفهم آليات اشتغاله الجمالية والدلالية بما يعمّق القراءة النقدية للرواية المدروسة.

يُعدّ مفهوم البناء السردي من المفاهيم المركزية في الدراسات السردية الحديثة، وهو يشير إلى الكيفية التي يتم بها تنظيم المادة الحكائية داخل النص الروائي وتحويلها من أحداث متفرقة إلى خطاب فني منسجم. ويرى سعيد يقطين في كتابه تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير) أن الخطاب الروائي لا يُفهم من خلال القصة وحدها، بل من خلال طريقة تشكيلها داخل البنية السردية، حيث تصبح هذه البنية بمثابة "المستوى النحوي" الذي يمنح المادة الحكائية شكلها الفني النهائي، ويحوّلها من مجرد وقائع إلى بناء دلالي متكامل [1]

أما الزمن السردي، فيُقصد به الطريقة التي يُعاد بها تنظيم زمن الأحداث داخل النص الروائي، وليس الزمن الواقعي للأحداث نفسها. وقد ميّز سعيد يقطين بين ثلاثة مستويات زمنية: زمن القصة باعتباره

[1] سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي: الزمن، السرد، التبئير، ط3، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1997، ص 34.

المادة الحكائية الخام، وزمن الخطاب بوصفه طريقة تقديم هذه المادة، وزمن النص المرتبط بعملية التلقي وإنتاج الدلالة. ويستند هذا التصور إلى مقاربة بنيوية قريبة من تصور جيرار جنيت Gérard Genette الذي يرى أن الزمن السردي يتحدد من خلال العلاقة بين زمن الحكاية وزمن السرد، عبر آليات مثل الترتيب (ordre)، والمدة (durée)، والتواتر ((Genette, 1972) (fréquence.[1]

أما الراوي، فهو الصوت السردي الذي يتكفل بنقل الأحداث وتنظيمها داخل الخطاب الروائي، ويُعد عنصرًا أساسيًا في تشكيل الرؤية السردية. وقد تباينت تصنيفات الراوي في الدراسات السردية، حيث يميّز جيرار جنيت بين الراوي العليم (extradiégétique) والراوي المشارك داخل الأحداث (intradiegetic)، كما يربط مفهوم الراوي بمفهوم التبئير (focalisation) الذي يحدد زاوية الرؤية التي تُعرض من خلالها الأحداث. وفي هذا السياق، يؤكد سعيد يقطين أن الراوي لا يقتصر على كونه ناقلًا للأحداث، بل هو عنصر فاعل في إنتاج الدلالة وتوجيه المتلقي داخل النص الروائي [2]

وانطلاقًا من هذا التصور النظري، سنقوم في ما يلي بتحليل بعض قصص حداد من خلال مقاربة عناصر البنية السردية والزمن والمكان والراوي، بهدف الكشف عن آليات اشتغال الخطاب الروائي فيها.

تُعدّ قصة حبال الغسيل نموذجًا دالًا على كيفية اشتغال البنية السردية داخل الخطاب الروائي، حيث تتجلى فيها آليات تنظيم الأحداث وبناء الدلالة من خلال تفاعل عناصر الزمن والمكان والراوي والشخصيات، وفق تصور يمكن مقاربته في ضوء تحليل الخطاب الروائي عند سعيد يقطين.

أولًا: البنية السردية

تقوم البنية السردية في القصة على تسلسل أحداث يبدو خطيًا في ظاهره، يبدأ بوصول العم بو غانم إلى أمريكا ثم انخراطه في الحياة الجديدة، غير أن هذا التسلسل يتخلله استرجاع دائم لذكريات الوطن، مما يخلق بنية مزدوجة تقوم على التداخل بين الحاضر والماضي. وتبلغ هذه البنية ذروتها في الموقف السردي المرتبط بمشهد "حبال الغسيل"، الذي يشكل نقطة تحول في رؤية الشخصية للعالم الجديد، ويكشف عن المفارقة بين الواقع المتخيل والواقع المعيش.

[1] سعيد يقطين نفس المصدر ص 154

[2] سعيد يقطين ، نفس المصدر 218

ثانيًا: الزمن

يتأسس الزمن في القصة على تقابل واضح بين زمنين رئيسيين: زمن الحاضر في المهجر، وزمن الماضي في الوطن. ويظهر ذلك من خلال الاسترجاع المستمر لصور الحياة الريفية في سوريا، مقابل التجربة اليومية في أمريكا. كما تتسم القصة بتفاوت في سرعة السرد، حيث يتم تسريع عرض سنوات الإقامة في المهجر، مقابل تبطيء السرد في لحظات معينة ذات دلالة مثل مشهد الجسر أو حبال الغسيل، مما يمنح هذه اللحظات كثافة دلالية خاصة. كما يتكرر التذكير بالمقارنة بين العالمين، وهو ما يعكس حضور التواتر بوصفه آلية سردية تعزز فكرة التناقض بين الثقافتين.

ثالثًا: المكان (الفضاء السردي)

يتجلى الفضاء السردي في القصة من خلال ثنائية مركزية تقوم على التضاد بين سوريا وأمريكا. فالأولى تُقدَّم كفضاء أليف يرتبط بالبساطة والانتماء والراحة النفسية، بينما تُصوَّر الثانية كفضاء غريب وضاغط يعكس الاغتراب والرفض. ولا يقتصر المكان على كونه خلفية للأحداث، بل يتحول إلى عنصر دلالي يعكس الحالة النفسية للشخصية، حيث يصبح الفضاء الأمريكي رمزًا للاغتراب، في حين يمثل الفضاء السوري رمزًا للحنين والأصل.

وفي إطار مقاربة النقد الثقافي، يتجاوز المكان في «**حكايات المهجر**» وظيفته الجغرافية أو الطوبوغرافية بوصفه مجرد إطار تجري فيه الأحداث، ليغدو فضاءً ثقافيًا كثيف الدلالات تتقاطع داخله الأنساق المتعارضة وتتجلى عبره رهانات الهوية والانتماء. فالنص يؤسس، على المستوى الرمزي، لتقابل فضائي يعكس صراعًا بين منظومتين ثقافيتين مختلفتين؛ إذ يتشكل **الوطن الأصلي (سوريا)** بوصفه حاضنًا لنسق الأصالة والذاكرة الجماعية والعلاقات الإنسانية القائمة على الألفة والتكافل، بما يمنحه قيمة رمزية تتجاوز حدوده المكانية إلى كونه مرجعًا للهوية وامتدادًا للذات.

في المقابل، تتجسد **نيويورك** بوصفها تمثيلًا لنسق المدينة الحديثة التي تحكمها قيم الإنتاج والاستهلاك والإيقاع المتسارع للحياة، حيث تبدو العلاقات الإنسانية أكثر خضوعًا لمنطق المنفعة والتنظيم الصارم. ومن ثم، لا يظهر فضاء المهجر باعتباره مجرد مكان بديل للإقامة، بل بوصفه مجالًا لإعادة تشكيل الذات وفق شروط ثقافية جديدة قد تُفضي إلى الإحساس بالاغتراب وتراجع الإحساس بالخصوصية الفردية.

ومن خلال هذا التقابل الفضائي، يكشف النص عن حالة التمزق الهوياتي التي تعيشها الشخصية المهاجرة، وهي تتأرجح بين فضاء موروث يمثل مصدر الأمان والامتداد الرمزي للكينونة، وفضاء مستحدث يفرض عليها إعادة التفاوض مع قيمها وتصوراتها السابقة. وبذلك، يتحول المكان إلى فاعل ثقافي منتج للمعنى، يسهم في تجسيد الصراع بين الانتماء والتكيف، وبين الوفاء للذاكرة والانخراط في واقع جديد، بما يعكس تعقيدات تجربة الهجرة وما تثيره من أسئلة متصلة بالهوية والذات والآخر[1].

رابعًا: الراوي والرؤية السردية

تعتمد القصة على راوٍ عليم ينقل الأحداث من الخارج، مع تركيز واضح على وعي شخصية العم بو غانم، مما يجعل التبئير متمركزًا حول هذه الشخصية. فالأحداث لا تُقدَّم بوصفها حقائق موضوعية فقط، بل تُعرض من خلال منظور ذاتي يعكس رفض الشخصية للمدنية الحديثة وتمسكها بالقيم التقليدية. ويظهر الراوي هنا كوسيط ينقل تجربة نفسية وفكرية تعكس صراعًا بين رؤيتين للعالم.

خامسًا: الدلالة العامة للبنية السردية

من خلال تفاعل هذه العناصر، تكشف القصة عن بنية سردية تقوم على المفارقة بين عالمين متناقضين، وتحوّل الحدث البسيط (حبال الغسيل) إلى رمز دال على اختلاف القيم بين الحضارة الحديثة والحياة التقليدية، مما يمنح النص بعدًا فكريًا وثقافيًا يتجاوز السرد المباشر للأحداث.

كما قمنا بتحليل قصة حنّا مرقص التي ظهرت كنموذجً دالً على تداخل البنية السردية مع التحولات النفسية والاجتماعية للشخصية المهاجرة، حيث تُبنى الأحداث بطريقة تكشف عن صراع الهوية بين الوطن والمهجر، وفق رؤية سردية يمكن تحليلها في ضوء مقاربة سعيد يقطين للخطاب الروائي.

أولًا: البنية السردية

تقوم البنية السردية في القصة على تسلسل زمني عام يبدأ بهجرة حنّا مرقص إلى أمريكا في سن مبكرة، ثم تطور شخصيته داخل المجتمع الأمريكي، وصولًا إلى مرحلة العودة إلى الوطن ثم التردد بين الخيارين. غير أن هذا التسلسل لا يُقدَّم بشكل خطي بسيط، بل يتخلله تنقل مستمر بين التجربة الحالية في أمريكا والحنين إلى الوطن، مما يخلق بنية سردية قائمة على التوتر والمقارنة بين عالمين متناقضين. وتبلغ هذه

[1] إدوارد سعيد، تأملات حول المنفى، ترجمة: ثائر ديب، دار الآداب، بيروت، 2004، ص 63.

البنية ذروتها في لحظة الصراع الداخلي للشخصية بين "الحرية" والقيود"، حيث يتحول الخطاب السردي إلى مساحة تأمل نفسي وفكري.

ثانيًا: الزمن

يتسم الزمن في القصة بتركيب مزدوج يجمع بين زمن الحاضر في المهجر وزمن الماضي المرتبط بالوطن. فالسرد يستحضر باستمرار صورًا من الحياة الريفية البسيطة مقابل الحياة المدنية في أمريكا، مما يولد حركة زمنية قائمة على الاسترجاع والمقارنة. كما يعرف الزمن السردي في القصة تذبذبًا واضحًا بين التسريع في عرض سنوات الإقامة والتفصيل في لحظات محددة مثل وصف العادات اليومية أو الشعور بالاغتراب. ويُلاحظ كذلك حضور التكرار بوصفه آلية تعكس تردد الشخصية المستمر بين العودة والبقاء، مما يعمّق البعد النفسي للزمن داخل الخطاب.

وفي ضوء المقاربة الثقافية، لا يُنظر إلى توظيف المفارقات الزمنية، وفي مقدمتها تقنية الاسترجاع، بوصفه مجرد إجراء فني يهدف إلى كسر خطية السرد أو تنويع إيقاعه الحكائي، بل يتجاوز ذلك ليؤدي وظيفة ثقافية ودلالية عميقة. فالعودة المتكررة إلى الماضي عبر الذاكرة السردية تكشف عن آلية رمزية تلجأ إليها الذات المهاجرة لمواجهة ضغوط الحاضر وإعادة ترميم توازنها النفسي والهوياتي في بيئة الاغتراب.

فكلما اصطدمت الشخصيات المغتربة بقسوة الواقع الجديد وما يفرضه من إيقاع سريع ومنطق نفعي، ارتدت إلى زمن الوطن المستعاد، مستحضرةً تفاصيله وقيمه وعلاقاته الإنسانية بوصفها ملاذًا رمزيًا يمنحها الشعور بالاستمرارية والانتماء. وبهذا المعنى، يتحول الزمن في المتن القصصي إلى فضاء لصراع نسقي بين زمنين متقابلين: زمن الحاضر المرتبط بواقع المهجر وما يحمله من تحولات اجتماعية وثقافية متسارعة، وزمن الماضي الذي تحتفظ فيه الذاكرة بصورة الوطن باعتباره مستودعًا للقيم والعلاقات المؤسسة للهوية.

ومن ثم، لا يؤدي الاسترجاع وظيفة تذكارية فحسب، بل يغدو فعلًا ثقافيًا يعبر عن مقاومة الذات المهاجرة لاحتمالات الذوبان الكامل في الواقع الجديد، ومحاولةً للحفاظ على تماسكها الداخلي عبر التشبث بمرجعياتها الأولى. وهكذا يصبح الزمن السردي أداة للكشف عن توترات الهوية ومفاوضاتها المستمرة بين

مقتضيات التكيف مع الحاضر والوفاء للموروث الثقافي، بما يعكس تعقيد التجربة الاغترابية وعمق أثرها في تشكيل وعي الشخصيات ومساراتها الوجودية[1].

ثالثًا: المكان (الفضاء السردي)

يتجلى الفضاء السردي في القصة من خلال ثنائية مركزية تقوم على التضاد بين أمريكا وسوريا. فالأولى تُقدَّم كفضاء حضري متطور لكنه مقيد بالعادات والأنظمة الصارمة، بينما تُصور الثانية كفضاء بسيط وأليف لكنه محدود الإمكانيات. ويكتسب المكان في القصة بعدًا دلاليًا واضحًا، إذ لا يُعرض كإطار جغرافي فقط، بل كحامل لقيم ثقافية ونفسية متعارضة، حيث يصبح رمزًا للصراع بين الحرية والقيود، وبين الحداثة والبساطة.

رابعًا: الراوي والرؤية السردية

تعتمد القصة على راوٍ عليم يتولى نقل الأحداث من الخارج، مع تركيز واضح على وعي شخصية حنّا مرقص وتجربته الذاتية، مما يجعل التبئير متمركزًا حول هذه الشخصية. فالأحداث تُقدَّم من خلال منظور داخلي يعكس صراعها النفسي وترددها بين الانتماءين، دون تدخل مباشر من الراوي في الحكم، بل من خلال عرض المواقف وتطورها. وهذا ما يمنح الخطاب السردي طابعًا تأمليًا قائمًا على إبراز التناقضات الداخلية للشخصية.

خامسًا: الدلالة العامة للبنية السردية

تقوم البنية السردية في القصة على فكرة التمزق بين عالمين متناقضين، حيث يتحول السرد إلى وسيلة لتجسيد أزمة الهوية لدى المهاجر. فالتنقل بين أمريكا وسوريا لا يعكس مجرد حركة مكانية، بل يعكس أيضًا صراعًا زمنيًا ونفسيًا وفكريًا، يجعل من الشخصية نموذجًا للإنسان الموزع بين ثقافتين وتجربتين مختلفتين.

[1] عبد الله الغذامي، *النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية*، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005، ص 89.

في ختام هذا المبحث، يتّضح أن تحليل القصتين من رواية حكايات المهجر لعبد المسيح حداد قد مكّن من الكشف عن الخصائص البنيوية للخطاب السردي، من خلال تتبع آليات اشتغال كل من البنية السردية والزمن والمكان والراوي. فقد أبانت المقاربة التطبيقية أن السرد عند عبد المسيح حداد لا يُقدَّم بوصفه مجرد نقل للأحداث، بل باعتباره بناءً فنيًا مركبًا تتداخل فيه مختلف العناصر لتشكيل الدلالة العامة للنص.

كما أبرز تحليل الزمن في القصتين حضورًا واضحًا للتقابل بين الماضي والحاضر، وهو ما أسهم في تعميق البعد الدلالي للنصين، من خلال إبراز التوتر القائم بين الحنين إلى الوطن وتجربة الاغتراب في المهجر. أما على مستوى الفضاء السردي، فقد تبين أن المكان لم يكن مجرد إطار للأحداث، بل تحوّل إلى عنصر دلالي يعكس حالة الصراع بين الانتماء والاغتراب، وبين البساطة والتعقيد الحضري.

وفيما يتعلق بالراوي والرؤية السردية، فقد أظهرت القصتان اعتمادًا على منظور يوجّه المتلقي نحو فهم التجربة من داخل وعي الشخصيات، مما عزز الطابع الذاتي للنصوص، وأضفى عليها بعدًا تأمليًا يعكس التحولات النفسية والاجتماعية للمهاجر.

وبناءً على ذلك، يمكن القول إن البنية السردية في القصتين عند عبد المسيح حداد تتأسس على تفاعل معقد بين العناصر السردية المختلفة، مما يجعل الخطاب الروائي فضاءً لإعادة تشكيل التجربة الإنسانية في أبعادها الفكرية والنفسية والجمالية، ويؤكد في الوقت نفسه ثراء النصوص المدروسة وقابليتها لقراءات نقدية متعددة.

2) **المبحث الثاني تحليل الشخصيات** :

بعد الانتهاء من دراسة البنية السردية بمختلف عناصرها من زمن ومكان وراوٍ، يتجه هذا البحث في مبحثه الثاني إلى تحليل عنصر آخر لا يقل أهمية داخل الخطاب الروائي، وهو عنصر الشخصيات. إذ تُعد الشخصية الروائية المحور الذي تتقاطع عنده مختلف مكونات السرد، باعتبارها الفاعل الأساسي في تحريك الأحداث وتطويرها داخل النص.

فالشخصيات ليست مجرد عناصر وصفية داخل الرواية، بل هي بنى دلالية تحمل أبعادًا نفسية واجتماعية وفكرية، تعكس رؤية الكاتب للعالم وتساهم في تشكيل المعنى العام للعمل الروائي. ومن هذا المنطلق، فإن دراسة الشخصيات في النصوص المدروسة لا تقتصر على تحديد أدوارها السردية فقط، بل تمتد إلى تحليل بنيتها الداخلية وعلاقاتها بالمكان والزمان وباقي مكونات الخطاب.[1]

وعليه، سننتقل في هذا المبحث إلى تحليل الشخصيات في القصص المدروسة، من خلال الوقوف عند أبعادها المختلفة ووظائفها داخل البناء السردي، بهدف الكشف عن دلالاتها الفنية والفكرية في رواية حكايات المهجر لعبد المسيح حداد.

يُعالج سعيد يقطين في كتابه تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير) مفهوم الشخصية الروائية ضمن إطار دراسته للبنية السردية، وإن كان اهتمامه الأساسي ينصب على عناصر الزمن والسرد والتبئير. ومع ذلك، فإنه يحدد موقع الشخصية داخل مستويات الخطاب الروائي، معتبراً إياها مكونًا أساسيًا في تشكيل القصة وبناء الدلالة السردية.[2]

في هذا السياق، يرى يقطين أن الشخصية الروائية تنتمي بالأساس إلى مستوى القصة، أي إلى المادة الحكائية الخام قبل أن يخضعها الخطاب لعمليات التنظيم والتشكيل الفني. فهي بذلك تمثل عنصرًا أوليًا داخل البنية السردية، يتم تحويله إلى كيان دلالي من خلال آليات السرد المختلفة. ومن جهة أخرى، يستفيد يقطين من المقاربات السيميوطيقية، خاصة عند غريماس وبروب، حيث يتم النظر إلى الشخصية باعتبارها "عاملًا" (Actant) يتحدد من خلال الأدوار التي يؤديها داخل شبكة العلاقات السردية، وليس فقط من خلال بعدها النفسي أو الوصفي.[3]

كما يؤكد يقطين أن وجود الشخصية في النص الروائي لا يتحقق إلا عبر الخطاب السردي، أي من خلال الطريقة التي يقدمها بها الراوي. فالشخصية لا تكتسب معناها ودلالتها إلا من خلال التمثيل السردي الذي يعيد تشكيلها داخل النص، سواء عبر الوصف أو الحوار أو الأفعال.[4]

[1] سعيد يقطين ، نفس المصدرص 252

[2] سعيد يقطين ، نفس المصدر ص 265

[3] سعيد يقطين ، نفس المصدر 258

[4] سعيد يقطين ، نفس المصدر ص 254

أما من حيث التصنيف، فيميز يقطين بين عدة أنواع من الشخصيات وفقًا لوظيفتها داخل البنية السردية. فهناك الشخصيات المركزية أو الرئيسية التي تدور حولها الأحداث وتشكل محور الحكي، إلى جانب الشخصيات الثانوية التي تساهم في تطوير الحبكة وإبراز أبعاد الشخصيات الأساسية. كما يميز أيضًا بين الشخصيات المرجعية، وهي الشخصيات ذات الأصل التاريخي أو الواقعي التي يعيد الخطاب الروائي تشكيلها ضمن إطار تخييلي يمنحها أبعادًا فنية جديدة.[1]

وفيما يتعلق بالراوي، يربط يقطين بين الشخصية وموقع السرد، حيث يميز بين الراوي البراني للحكي، وهو الراوي الذي لا يشارك في الأحداث ويكتفي بسردها من الخارج، والراوي الجواني أو الذاتي، الذي يكون جزءًا من الحكاية ويشارك في أحداثها، وقد يتطابق أحيانًا مع الشخصية الرئيسية نفسها.[2]

كما يربط يقطين دراسة الشخصية بمفهوم التبئير أو الرؤية السردية، حيث يتم التعرف على الشخصية من خلال زوايا متعددة، سواء عبر ما تقوله عن نفسها من خلال الحوار أو المونولوج الداخلي، أو عبر ما يُقال عنها من طرف الراوي أو باقي الشخصيات، إضافة إلى موقعها داخل الرؤية السردية، سواء كانت مقدمة من الداخل أو من الخارج.[3]

وبناءً على ذلك، يتضح أن الشخصية الروائية عند سعيد يقطين ليست مجرد عنصر وصفي داخل النص، بل هي وظيفة سردية تتشكل داخل شبكة من العلاقات التي تجمع بين الزمن والراوي والتبئير، مما يجعلها عنصرًا فاعلًا في بناء الخطاب الروائي وإنتاج دلالته[4].

ولنتناول ذلك قمنا بتحليل شخصيات قصة " زواننا لا قمحهم " اذ تُبرز قصة رفيق المدور في حكايات المهجر لعبد المسيح حداد بناءً سرديًا يقوم أساسًا على تحليل الشخصيات بوصفها محورًا رئيسيًا في إنتاج الدلالة، حيث تتجسد من خلالها ثنائية الاندماج في المجتمع الأمريكي والحنين إلى الأصل العربي، وما يرافق ذلك من صراع هوياتي وثقافي حاد.

أولًا: الشخصية الرئيسية (رفيق المدور)

[1] سعيد يقطين ، نفس المصدر ص 285

[2] نفس المصدر السابق ص 263

[3] نفس المصدر السابق ص 263

[4] سعيد يقطين ، نفس المصدر ص 260

تُعدّ شخصية رفيق المدور الشخصية المركزية في القصة، إذ تدور حولها جميع الأحداث وتتحدد من خلالها باقي الشخصيات والعلاقات السردية. وتمثل هذه الشخصية نموذجًا للمهاجر الذي يعيش تحوّلًا تدريجيًا في هويته، حيث ينتقل من شاب بسيط مرتبط بثقافته الأصلية إلى شخصية مندمجة ظاهريًا في المجتمع الأمريكي، متأثرة بمظاهر الحياة الغربية من لباس وسلوك وعلاقات اجتماعية.

غير أن هذا الاندماج يظل سطحيًا، إذ تكشف الأحداث عن وجود صراع داخلي بين ما اكتسبه في المهجر وما يحمله من جذور ثقافية، وهو ما يتجلى في تذبذبه بين الإعجاب بالحياة الأمريكية والحنين إلى القيم التقليدية في الوطن. وتبلغ هذه الازدواجية ذروتها في نهاية القصة، حين يختار العودة إلى أهله والتخلي عن بعض مظاهر الاندماج، مما يعكس عودة الهوية الأصلية إلى الواجهة.

ثانيًا: الشخصية الأنثوية (مالي)

تمثل شخصية "مالي" شخصية ثانوية محورية في تطور الأحداث، حيث تؤدي دورًا فاعلًا في إبراز الصراع العاطفي والثقافي لدى الشخصية الرئيسية. فهي ترتبط بعلاقة عاطفية مع رفيق المدور، غير أن هذه العلاقة تظل محكومة بقيود اجتماعية وثقافية تعكس اختلاف الخلفيات بين الطرفين.

وتجسد هذه الشخصية نموذجًا للارتباط بالقيم الأسرية والتقاليد، إذ ترفض الهروب مع رفيق وتتمسك برضا والدها، مما يبرز بعدها القيمي المحافظ داخل البناء السردي، ويعكس في الوقت نفسه اختلاف المنظور الثقافي بين الشخصيات.

ثالثًا: الشخصيات الثانوية

تتمثل الشخصيات الثانوية في والدي رفيق وعائلة مالي، إضافة إلى بعض الشخصيات المحيطة في المهجر. وتساهم هذه الشخصيات في تطوير الحدث وإبراز التناقضات داخل القصة، حيث تمثل عائلة رفيق الرابط القوي بالوطن والقيم التقليدية، في مقابل البيئة الأمريكية التي تعكس نمطًا حياتيًا مختلفًا.

كما تؤدي هذه الشخصيات وظيفة تنظيمية داخل السرد، إذ تسهم في دفع الأحداث نحو التوتر ثم الحل النهائي، من خلال تدخلها في توجيه قرارات الشخصيات الرئيسية.

رابعًا: الدلالة العامة للشخصيات

تكشف الشخصيات في هذه القصة عن صراع واضح بين الانتماء والاغتراب، وبين الهوية الأصلية ومحاولات الاندماج في مجتمع جديد. فالشخصية الرئيسية تمثل نموذجًا للإنسان الممزق بين عالمين، في حين تمثل الشخصيات الثانوية عناصر مساعدة لإبراز هذا التمزق وتعميق دلالته.

وبناءً على ذلك، يتضح أن بناء الشخصيات في القصة لا يقتصر على الجانب الوصفي، بل يتجاوز ذلك إلى تشكيل رؤية فكرية تعكس أزمة الهوية لدى المهاجر، وتُبرز التوتر القائم بين القيم التقليدية ومتطلبات الحداثة.

لننتقل إلى تحليل شخصيات أخرى لقصة أخرى من حكايات المهجر فنأخذ عنوان " تمثال الحرية أين تظهر قصة نخلة المعصوب من حكايات المهجر لعبد المسيح حداد بناءً سرديًا قائمًا على تحليل الشخصيات بوصفها العنصر الأساسي في كشف التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي يعيشها المهاجر العربي في المجتمع الأمريكي، حيث تتجسد من خلالها فكرة انقلاب الأدوار داخل الأسرة بفعل ضغط الواقع الجديد.

أولًا: الشخصية الرئيسية (نخلة المعصوب)

تُعدّ شخصية نخلة المعصوب الشخصية المركزية في القصة، إذ تدور حولها مختلف الأحداث وتتشكل من خلالها دلالة التحول الاجتماعي داخل الأسرة. وتمثل هذه الشخصية نموذجًا للمهاجر الذي يبدأ حياته في المهجر بشعور من السيطرة والهيمنة داخل بيته، بوصفه "رجل الأسرة"، غير أن هذا الوضع يتغير تدريجيًا تحت ضغط الظروف الاقتصادية والاجتماعية.

فمع مرور الزمن، ومع تعثره في إيجاد عمل مستقر وتراكم الديون عليه، يفقد نخلة موقعه التقليدي داخل الأسرة، ليصبح معتمدًا على زوجته في إعالة البيت. هذا التحول يكشف عن انكسار صورة "الرجل القوي" لصالح نموذج جديد فرضته طبيعة الحياة في المهجر، حيث تتغير الأدوار الاجتماعية تبعًا للقدرة على العمل والإنتاج وليس لمجرد الانتماء الذكوري التقليدي.

ثانيًا: شخصية الزوجة (الست إدما)

تُعدّ شخصية "الست إدما" شخصية محورية ثانية في بناء القصة، إذ تمثل عنصر التحول الأساسي في التوازن العائلي. فهي في البداية زوجة خاضعة نسبيًا لسلطة الزوج، غير أنها تتحول تدريجيًا إلى شخصية فاعلة اقتصاديًا واجتماعيًا، خاصة بعد دخولها مجال العمل والتجارة.

وقد أدى نجاحها المهني إلى قلب موازين السلطة داخل الأسرة، لتصبح هي المعيلة والمسؤولة عن القرار، في حين يتراجع دور الزوج إلى وظيفة ثانوية داخل البيت. وهكذا تتحول إدما إلى نموذج للمرأة المهاجرة التي فرضت نفسها داخل المجتمع الجديد، وأعادت تشكيل البنية الأسرية وفق معطيات الواقع الاقتصادي.

ثالثًا: الشخصيات الثانوية

تتمثل الشخصيات الثانوية في القصة في النسيب وبعض المحيطين بالعائلة، إضافة إلى الأطفال الذين يشكلون عنصر ضغط إضافي على الأسرة. وتؤدي هذه الشخصيات دورًا وظيفيًا في دفع الأحداث وتبرير التحولات التي عرفتها الأسرة، خاصة من خلال اقتراح العمل التجاري الذي ساهم في تغيير موقع الزوجة داخل البنية الاجتماعية.

رابعًا: الدلالة العامة للشخصيات

تكشف الشخصيات في هذه القصة عن تحول جذري في مفهوم السلطة داخل الأسرة المهاجرة، حيث لم يعد الرجل هو المركز الثابت للسلطة، بل أصبحت القدرة الاقتصادية هي العامل الحاسم في تحديد الأدوار. كما تعكس القصة صراعًا بين النموذج التقليدي للعائلة العربية والنموذج الحديث المفروض في المجتمع الأمريكي، مما يجعل الشخصيات حاملًا رئيسيًا لدلالة اجتماعية وثقافية عميقة.

في ختام هذا المبحث، يتضح أن الشخصية الروائية في حكايات المهجر لعبد المسيح حداد لا تُقدَّم بوصفها عنصرًا وصفيًا ثابتًا داخل النص، بل باعتبارها بنية ديناميكية تتشكل داخل الخطاب السردي وتتحدد من خلال شبكة العلاقات التي تربطها ببقية المكونات الحكائية، وهو ما ينسجم مع التصور الذي يقدمه سعيد يقطين في كتابه تحليل الخطاب الروائي، حيث تُفهم الشخصية ضمن مستوى القصة وتُعاد صياغتها عبر آليات السرد والتبئير.

وقد أظهر تحليل النماذج المدروسة (رفيق المدور، نخلة المعصوب) أن الشخصية عند حداد تتحرك داخل فضاء المهجر بوصفه مجالًا لإعادة تشكيل الهوية والقيم والأدوار الاجتماعية. فالشخصيات

الرئيسية تعيش حالات من التوتر الداخلي بين الانتماء إلى الأصل والانجذاب إلى مظاهر الحداثة في المجتمع الأمريكي، بينما تساهم الشخصيات الثانوية في إبراز هذا الصراع وتوجيه مسار الأحداث نحو أبعاده الدلالية.

كما تبين أن التحولات التي تعرفها الشخصيات ليست مجرد تحولات فردية، بل هي انعكاس لتحولات أعمق تمس البنية الاجتماعية والثقافية للمهاجر العربي، حيث تتبدل العلاقات داخل الأسرة، وتُعاد صياغة مفاهيم السلطة والعمل والانتماء. وهكذا تصبح الشخصية الروائية أداة لكشف الواقع الاجتماعي وتفكيك تناقضاته.

وبناءً عليه، يمكن القول إن دراسة الشخصيات في هذا المتن السردي تكشف عن وظيفة أساسية تتجاوز الجانب الحكائي إلى بناء رؤية فكرية وإنسانية حول تجربة الاغتراب، مما يؤكد أن الشخصية في الخطاب الروائي عند عبد المسيح حداد هي في جوهرها كيان دلالي متحول يعكس صراع الإنسان مع المكان والهوية والآخر.

3) المبحث الثالث: اللغة والأسلوب والرمز والدلالة :

يُعدّ تحليل اللغة والأسلوب والرمز والدلالة من المداخل الأساسية لفهم البنية العميقة للخطاب الروائي، إذ لا يقتصر النص الأدبي على كونه مجموعة من الأحداث والشخصيات، بل يتجاوز ذلك إلى كونه بناءً لغويًا وجماليًا تنتج دلالته من خلال طريقة تشكله داخل السرد. وفي هذا السياق يقدم سعيد يقطين في كتابه تحليل الخطاب الروائي تصورًا إجرائيًا لهذه المفاهيم من منظور سردي بنيوي يربط بين مختلف مكونات الخطاب في إنتاج المعنى.

ينظر سعيد يقطين إلى اللغة باعتبارها المادة الأساسية التي يتشكل منها الخطاب الروائي، فهي الوسيط الذي تُبنى من خلاله عوالم النص وتتحقق عبره دلالاته. فاللغة في الرواية ليست مجرد أداة لنقل الأحداث، بل هي نظام إنتاج لعالم تخييلي قائم بذاته. كما يؤكد يقطين على وجود تعدد لغوي داخل النص الروائي الواحد، حيث تتداخل لغة الراوي مع لغة الشخصيات ومع أنماط أخرى من الخطاب مثل

الوصف والحوار والوثائق، مما يخلق تعددًا في الأصوات داخل النص الواحد ويمنحه كثافة دلالية خاصة.[1]

أما الأسلوب، فيقارب عند يقطين من خلال ما يسميه بالصيغة السردية، أي الطريقة التي يتم بها تنظيم المادة الحكائية داخل الخطاب. ولا يُفهم الأسلوب هنا بمعناه البلاغي التقليدي، بل من خلال المسافة التي يقيمها الراوي بينه وبين ما يرويه، سواء من خلال السرد المباشر أو غير المباشر أو غير المباشر الحر. كما يتشكل الأسلوب الروائي من تفاعل مكونات متعددة داخل النص مثل السرد والوصف والحوار، وهو ما يمنح كل عمل روائي خصوصيته الفنية ويحدد إيقاعه الداخلي.[2]

أما الرمز فيعد عند يقطين بنية دلالية تتجاوز المعنى الحرفي المباشر، حيث لا يكون الرمز معطى جاهزًا في النص، بل يتشكل داخل السياق السردي. فالعناصر السردية قد تتحول من دلالاتها المادية إلى دلالات إيحائية أوسع، سواء تعلق الأمر بالشخصيات أو الأمكنة أو الأحداث، مما يجعلها تحمل أبعادًا اجتماعية أو ثقافية أو فكرية تتجاوز ظاهرها المباشر.[3]

وفي ما يخص الدلالة، فهي تمثل المحصلة النهائية لتفاعل مختلف عناصر الخطاب الروائي، إذ لا توجد الدلالة بشكل مسبق داخل النص، بل تُبنى تدريجيًا من خلال العلاقات التي تربط بين الزمن والسرد واللغة والأسلوب. كما أن تنظيم الأحداث وتقنيات السرد المختلفة، مثل الاسترجاع والاستباق والتكثيف والحذف، يسهم في إنتاج معانٍ متعددة تعكس رؤية النص للعالم والإنسان والتاريخ.[4]

وبذلك يتضح أن اللغة والأسلوب والرمز والدلالة عند سعيد يقطين ليست عناصر منفصلة، بل هي منظومة متكاملة تعمل داخل جهاز السرد لإنتاج المعنى، حيث تتحول اللغة إلى أسلوب، ويتحول الأسلوب إلى رمز، وتتشكل الدلالة كنتيجة نهائية لهذا التفاعل البنيوي داخل الخطاب الروائي.[5]

[1] نفس المصدر السابق ص 312

[2] نفس المصدر السابق ص 277

[3] نفس المصدر السابق 322

[4] نفس المصدر السابق 352

[5] سعبد يقطين ، نفس المصدر ص 361

تعكس قصة مدينة الأمريكان من حكايات المهجر لعبد المسيح حداد تداخلًا واضحًا بين اللغة والأسلوب والرمز في بناء دلالة نقدية ساخرة، حيث تتجسد تجربة الاغتراب من خلال مفارقة حادة بين التصور المسبق للمدنية الأمريكية والواقع المعيش داخل النص.

من حيث اللغة، تعتمد القصة على لغة سردية مباشرة وسهلة تميل إلى الوصف التفصيلي للأحداث، وهو ما يظهر في قول الراوي: «فأخذته الحرية كل مأخذ، وبعدما خرج البوليس انهال عليه بالسباب والتجديفات»،[1] حيث تنقل الجملة الحدث بشكل مباشر يعكس طبيعة السرد الواقعي الساخر. كما تتجلى اللغة الحوارية التي تكشف عن التباين الثقافي واللغوي داخل المجتمع المهاجر، إذ تختلط اللغة العربية ببعض المفردات الأجنبية، مما يبرز حالة الاغتراب اللغوي وسوء التفاهم الثقافي الذي يعيشه البطل داخل البيئة الجديدة.

أما من حيث الأسلوب، فيقوم النص على أسلوب ساخر تهكمي يعتمد على المفارقة بين وعي الشخصية وواقع الأحداث، وهو ما يتجلى في وصف أبي راجي للأمريكان حين يقول عنهم ما يفيد أنهم «ليسوا على شيء من التمدن والذكاء[2]»، وهو حكم مبالغ فيه ناتج عن سوء فهمه للمواقف التي يمر بها. كما يتضح الأسلوب الوصفي الحركي في مشاهد متعددة مثل مشهد الأركيلة أو المتحف، حيث يصف الكاتب بدقة تفاصيل الحركة وردود الأفعال، كما في قوله: «أخرج علبة التبغ... لف سيكارة ووضعها بفيه... ثم امتدت يده إلى الحائط المدهون[3]»، وهو ما يخلق طابعًا بصريًا يزيد من الطابع الكوميدي للمشهد.

وفي ما يتعلق بالرمز، فإن القصة توظف مجموعة من العناصر التي تتجاوز معناها المباشر لتصبح دوال رمزية. فالمتحف الفني مثلًا يتحول إلى رمز للمدنية الغربية التي تبدو عظيمة في ظاهرها، حيث يُشار إلى أن قيمة الصور فيه تبلغ «عشرات ألوف الريالات»، غير أن الشخصية لا تدرك قيمتها، مما يعكس الفجوة بين الثقافة التقليدية والثقافة الغربية. كما أن حادثة رسم الخط على جدار المتحف بعود الكبريت تتحول إلى رمز لسوء فهم الحضارة الغربية والتعامل معها بعفوية غير مدروسة، وهو ما يكشف عن صدام ثقافي عميق. أما تمثال الحرية فيحمل بدوره دلالة رمزية مهمة، إذ لا يُفهم كرمز للحرية المطلقة، بل كإشارة إلى

[1] عبد المسيح حداد ، حكايات المهجر ص 109

[2] عبد المسيح حداد، حكايات المهجر ص 109

[3] عبد المسيح حداد ، حكايات المهجر ص 110

نظام اجتماعي صارم، وهو ما يتضح من وعي الشخصية بكون هذه الحرية مقيدة بقوانين وسلوكيات محددة.

وبذلك تتكامل اللغة والأسلوب والرمز داخل القصة لإنتاج دلالة نقدية ساخرة تعيد مساءلة فكرة التمدن، وتكشف عن التناقض بين الصورة المتخيلة للحضارة الغربية والواقع الذي يعيشه المهاجر داخلها.

أما " مدرسة الغربة" فتميزت لغتها بأنها لغة سردية تقوم على المزج بين الفصحى في السرد ولغة الحوار في خطاب الشخصيات، مما يخلق تعدداً لغوياً داخل النص. فالراوي يستعمل لغة فصحى وصفية هادئة كما في قوله: «وكان الحديث عن تذكارات عنّت لبعضهم في الوطن[1]»، بينما تتحول لغة الشخصيات إلى لغة تقريرية وانفعالية تكشف مواقفهم، مثل قول إلياس شداوي: «أهل بلادنا مساكين، متأخرون بكل شيء...[2]»، وهي عبارة تحمل طابع التعميم والحكم القيمي، وتعكس رؤية ذاتية أكثر من كونها حقيقة موضوعية. هذا التعدد اللغوي ينسجم مع ما أشار إليه سعيد يقطين حول تعدد المستويات اللغوية داخل الخطاب الروائي.

أما الأسلوب فيقوم على السخرية والمفارقة، حيث يعتمد الكاتب على إبراز التناقض بين ما تقوله الشخصيات وما يكشفه الواقع. فإلياس شداوي يتحدث عن أمريكا ومصر وكأنه شاهد خبير، لكنه يقدم صوراً مبالغاً فيها وغير دقيقة، مثل قوله: «استعملوا الشدة الهائلة فيه حتى استطاعوا أن يجعلوه جنة عدن[3]»، وهو تعبير ساخر يكشف التناقض بين الواقع والتصوير الخطابي. كما يعتمد الأسلوب على الحوار داخل فضاء القهوة، مما يخلق تعدد الأصوات ويجعل السرد حياً وتفاعلياً، كما في تدخل أحد الحاضرين: «هذا كله مضى عهده من زمان[4]».

أما الرمز فيتمثل أساساً في شخصية إلياس شداوي التي ترمز إلى المهاجر الذي يعيش بين ثقافتين دون امتلاك رؤية دقيقة لأي منهما، فيتحول إلى رمز للخطاب المهاجر المشوش. كما ترمز "الغربة" إلى حالة

[1] نفس المصدر السابق ص110

[2] نفس المصدر السابق ص110

[3] نفس المصدر السابق ص111

[4] نفس المصدر السابق ص111

معرفية مضطربة تتحول فيها التجربة إلى خطاب متناقض. وترمز جلسة القهوة إلى فضاء اجتماعي يعيد إنتاج الصور النمطية حول الوطن والمهجر من خلال الكلام المتداول.

وتتجلى الدلالة في نقد الخطاب القائم على الادعاء المعرفي دون تجربة حقيقية، حيث تكشف القصة أن ما يُقدَّم على أنه معرفة بالغربة هو في الحقيقة مبالغات وخطابات غير موثوقة. وهنا تتحول اللغة إلى أداة لكشف الوهم، ويتحول النص إلى نقد للوعي الزائف الذي ينتجه بعض المهاجرين عن تجاربهم.

وفي ضوء مقاربة النقد الثقافي، يتجاوز توظيف الرمز والأسلوب الساخر في قصتي «مدينة الأمريكان» و**«مدرسة الغربة»** حدود الوظيفة الفنية والجمالية، ليغدو وسيلة للكشف عن الأنساق الثقافية المضمرة التي تتحكم في سلوك الشخصيات وتمثلاتها للذات والآخر. فالعناصر السردية التي تبدو للوهلة الأولى تفاصيل عابرة أو مواقف هزلية، تتحول إلى علامات ثقافية دالة تسهم في تعرية الاختلالات التي تصاحب تجربة الهجرة وما تفرضه من تحولات في الوعي والهوية.

ففي قصة «مدينة الأمريكان»، يكتسب المتحف الفني وحادثة خربشة الجدار بعود الكبريت أبعادًا رمزية تتجاوز واقعيتهما الحكائية؛ إذ تكشفان عن طبيعة الصدام الناشئ بين منظومتين ثقافيتين مختلفتين في إدراكهما لمعاني النظام العام وحدود السلوك المقبول داخل الفضاء المشترك. ومن خلال هذا الموقف، يبرز التفاوت بين مرجعيات ثقافية متباينة، بما يفضي إلى سوء الفهم والتوتر الناتج عن اختلاف أنماط التنشئة والتصورات الحضارية.

أما في قصة «مدرسة الغربة»، فإن السخرية والتهكم، إلى جانب مظاهر التهجين اللغوي ومحاولة اصطناع اللهجة المصرية وادعاء الإحاطة المعرفية، تتحول إلى أدوات نقدية تسلط الضوء على أنماط من الوعي المأزوم التي قد تنشأ داخل أوساط المهاجرين. فهذه الممارسات لا تُقرأ بوصفها مظاهر لغوية بريئة، وإنما باعتبارها محاولات لتعويض شعور خفي بعدم الاكتمال أو لإنتاج صورة متخيلة للتميز الاجتماعي والثقافي. ومن ثم، يكشف النص عن نزوع بعض الشخصيات إلى بناء هويات متكلفة تسعى إلى اكتساب شرعية رمزية عبر التمايز عن أبناء بيئتها الأصلية.

وبذلك، يصبح الرمز والأسلوب الساخر آليتين ثقافيتين فاعلتين في تفكيك مظاهر الادعاء والاستعلاء الزائف، ومساءلة الوعي الذي يتشكل في ظل تجربة الاغتراب. ومن خلال هذا التوظيف، يدعو الخطاب

السـردي إلى تبني وعي أكثر اتزانًا وقدرة على التصـالح مع الذات، قائم على إدراك نقدي للهوية بعيدًا عن الانبهار غير الواعي بالآخر أو التنكر للمرجعيات الثقافية المؤسسة للانتماء.

وفي ختام هذا المبحث يتبين أن دراسـة اللغة والأسـلوب والرمز في النصـوص المدروسـة تكشـف عن البنية العميقة للخطاب الروائي، حيث لا تقتصـر هذه العناصـر على الجانب الشـكلي، بل تتجاوز ذلك إلى إنتاج دلالات نقدية تعكس رؤية الكاتب تجاه قضـايا الغربة والهوية والتجربة الإنسـانية. كما يظهر أن تداخل الأصـوات وتعدد المسـتويات اللغوية والسـخرية الأسـلوبية والرمزية ليسـت عناصـر معزولة، بل هي آليات فنية متكاملة تسهم في بناء المعنى داخل النص الروائي[1].

4) المبحث الرابع : القيم الأخلاقية والنزعة الإنسانية

يُعدّ أدب المهجر من أبرز التيارات الأدبية التي ارتبطت بالتجربة الإنسـانية العميقة، حيث تبلورت فيه مجموعـة من القيم الأخلاقيـة والنزعـة الإنسـانيـة التي انبثقت من معـانـاة الاغتراب والحنين إلى الوطن، إضـافة إلى الاحتكاك بالثقافات الغربية وما رافقه من صـراع داخلي بين الأصـالة والحداثة. وقد أسـهم هذا التفاعل في تشـكيل رؤية أدبية جديدة تتجاوز الحدود الضـيقة للمكان والانتماء، لتصـل إلى آفاق أوسـع قوامها الإنسان كقيمة مركزية في الوجود.

وفي هذا السـياق، يوضح الدكتور صـابر عبد الدايم في كتابه «أدب المهجر: دراسـة تأصـيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأملية في الأدب المهجري» أن النزعة الإنسـانية في أدب المهجر تقوم على الإيمان بوحدة الإنسـان، ونبذ التعصب، وتمجيد القيم الروحية مثل الحب والخير والجمال، إلى جانب الدعوة إلى العدالة والمساواة وتجاوز الماديات. كما يبرز الكتاب أثر الروح الدينية في ترسيخ هذه القيم، من خلال استلهام مبادئ التأمل والقدوة الأخلاقية في الأديان السماوية.[2]

وانطلاقاً من هذه الرؤية، سـننتقل في هذا المبحث إلى دراسـة تجليات النزعة الإنسـانية والقيم الأخلاقية في النصوص المدروسة، بهدف الكشف عن أبعادها الفكرية والجمالية داخل الخطاب الأدبي المهجري.

يتجلى عنصـر النزعة الإنسـانية والقيم الأخلاقية في قصـة في بيت الميت من خلال تصـوير الكاتب عبد المسـيح حداد لمشـهد اجتماعي بسـيط في ظاهره، لكنه عميق الدلالة في نقده للسـلوك الإنسـاني داخل

[1] أرتور آسا بيرجر، النقد الثقافي: مقدمة تفصيلية للمفهوم والمنهج، تر: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، ص 102.

[2] صابر عبد الدايم ماهية أدب المهجر ص 152

طقوس التعزية، حيث تتحول لحظة المواساة المفترض أنها إنسانية إلى ممارسة آلية مكررة تخلو من الإحساس الصادق.

تظهر النزعة الإنسانية أولاً في إحساس الراوي بالغربة داخل بيت العزاء، رغم أنه حضر بدافع الواجب الاجتماعي، إذ يقول: «دخلت إلى بيت الميت وأنا كالجنين في عالم التقاليد[1]»، وهو تعبير يكشف شعوره بالاغتراب أمام مجتمع يمارس التعزية كطقس اجتماعي أكثر منه شعوراً إنسانياً صادقاً. كما يبرز البعد الإنساني في نقده لتكرار العبارات الجاهزة التي يرددها المعزون مثل: «الله يعوضنا بسلامتكم[2]» و*«وراسك سالم[3]»*، حيث تتحول المواساة إلى كلمات بلا روح، مما يعكس غياب التواصل الإنساني الحقيقي.[4]

أما من حيث القيم الأخلاقية، فإن القصة تطرح نقداً واضحاً لقيمة الصدق في التعاطف، إذ يُظهر السرد كيف أن الحاضرين يكررون "مواعظ" جاهزة مستوحاة من قصص متداولة مثل قصة الإسكندر، دون وعي حقيقي بالموقف الإنساني، كما في قول أحدهم: «ما هان علينا موت المرحوم، ولكن أمر الله لا مرد له...[5]»، وهو خطاب تقليدي يفتقر إلى الإحساس الصادق ويعتمد على التكرار. وهنا ينتقد الكاتب القيم الشكلية التي تحكم السلوك الاجتماعي بدل القيم الجوهرية القائمة على التعاطف الحقيقي.

كما تبرز قيمة أخرى وهي نقد النفاق الاجتماعي، حيث يظهر الحاضرون وكأنهم يؤدون "واجباً اجتماعياً" أكثر من كونهم يشاركون في الحزن، وهو ما يتضح في مشهد التكرار الممل لنفس القصة على لسان أكثر من معزٍ، مما يجعل الراوي يعلّق بسخرية على هذا التكرار الذي يحوّل المأساة إلى خطاب محفوظ.

ومن جهة النزعة الإنسانية، فإن الراوي في نهاية القصة يعبّر عن موقف نقدي ساخر حين يقول: «لو كنت موضع أهل الميت لقلت للناس: المرحوم استراح من هذه الدنيا ومن مواعظكم[6]»، وهو قول يحمل بعداً إنسانياً عميقاً، لأنه يرفض تحويل الموت إلى مناسبة للخطابات الجاهزة، ويدعو إلى احترام مشاعر الفقد بدل استنزافها بالكلام المكرر.

وهكذا، فإن القصة تكشف عن نزعة إنسانية ناقدة تسعى إلى تحرير الشعور الإنساني من القوالب الاجتماعية الجاهزة، وتؤكد أن القيم الأخلاقية الحقيقية لا تكمن في الكلام المكرر، بل في الصدق العاطفي والتعاطف الحقيقي مع الآخر.

---

[1] عبد المسيح حداد ، حكايات المهجر ص 11

[2] نفس المصدر السابق ص 11

[3] نفس المصدر السابق ص 13

[4] عبد المسيح حداد ، حكايات المهجر ،عبد المسيح حداد ص 13

[5] عبد المسيح حداد ،حكايات المهجر ، ص 11

[6] عبد المسيح حداد ،حكايات المهجر ، ص 12

كمت تقدم لنا قصة "ما فيها شيء صورة نقدية لحالة التمزق التي تصيب الجالية السورية في المهجر نتيجة التعصب للرأي وضعف الوعي، حيث تتحول الصحافة من وسيلة للتثقيف إلى أداة لإثارة العداء بين الأفراد. ومن خلال هذا الوضع يكشف الكاتب عن بعد إنساني مهم يتمثل في هشاشة العلاقات الإنسانية عندما تغيب الروح الأخلاقية ويحل مكانها التنافس الأعمى والانحياز الأعمى.

تظهر النزعة الإنسانية في القصة من خلال معاناة الصديقين نخلة الطبطابي وديب أبو غانم، إذ كانا في البداية يجمعهما الحوار والأنس، لكن سرعان ما تحولت العلاقة إلى عداء بسبب الانسياق وراء "التحزب الإعلامي"، مما يعكس ضعف الإنسان أمام المؤثرات الخارجية عندما يفتقد إلى الوعي النقدي. وهذا ما يتقاطع مع فكرة صابر عبد الدايم حول أن التجربة الأدبية في المهجر تنطلق من الألم الإنساني وتحولاته داخل مجتمع الغربة، حيث يصبح الإنسان مهدداً بفقدان توازنه الأخلاقي أمام ضغط الواقع الجديد.

أما القيم الأخلاقية فيبرزها النص بشكل سلبي/تحذيري، من خلال نقد التعصب والكذب والتسرع في إصدار الأحكام، إضافة إلى غياب قيم التسامح والحوار. فالقصة تُدين تحويل الخلاف الفكري إلى خصومة شخصية، وتكشف كيف أن الإنسان عندما ينساق وراء الانفعال يفقد قيم العدل والإنصاف، وهو ما يتنافى مع القيم الإنسانية القائمة على الاحترام المتبادل.

كما تبرز القصة قيمة أخلاقية مضادة بشكل غير مباشر وهي الدعوة إلى التسامح ونبذ التعصب، حيث ينتهي الصراع في النهاية إلى صلح مصطنع يكشف عبثية الخلاف، مما يدفع القارئ إلى إدراك أن الخلافات التي لا تستند إلى وعي حقيقي لا تنتج سوى التفكك الاجتماعي.

باختصار، تعكس القصة رؤية إنسانية نقدية تعتبر أن الإنسان في المهجر ليس فقط أمام تحدي المكان، بل أمام اختبار أخلاقي وفكري، وأن غياب الوعي يؤدي إلى انهيار العلاقات وتحول المجتمع إلى صراعات عبثية.

أما في قصة "حي دفين" تتجلى بوضوح النزعة الإنسانية والقيم الأخلاقية من خلال تجربة حبيب الزيتوني في الهجرة وتحولاته النفسية والاجتماعية، حيث يقدم الكاتب رؤية عميقة لمعاناة الإنسان حين يفقد توازنه بين الطموح والهوية.

تظهر النزعة الإنسانية في القصة من خلال تصوير مأساة الإنسان المهاجر الذي يبحث عن النجاح المادي في "أمريكا" لكنه يفقد في المقابل ذاته الداخلية. فحبيب الزيتوني لم يعش تجربة الهجرة كفرصة للارتقاء، بل تحولت حياته إلى صراع داخلي بين النفس والواقع، حتى انتهى به الأمر إلى القول: "أنا حي دفين[1]". هذه العبارة تحمل دلالة إنسانية قوية، إذ تعكس موت الروح رغم بقاء الجسد، وهو ما يجعل القصة قريبة

[1] عبد المسيح حداد ، حكايات المهجر ص 39

من رؤية الأدب المهجري التي ترى الإنسان ككائن مأزوم يعيش الغربة المادية والنفسية في آن واحد. ويمكن ربط هذا الطرح بما أشار إليه صابر عبد الدايم من أن التجربة المهجرية تقوم على تحويل الألم والغربة إلى تأمل في معنى الإنسان ووجوده.

أما القيم الأخلاقية فتبرز بشكل نقدي من خلال موقف القصة من الطموح المادي غير المتوازن، حيث يكشف النص أن السعي وراء المال والشهرة دون الحفاظ على القيم الداخلية يؤدي إلى فقدان الذات. فحبيب، رغم حصوله على المال والزواج والاستقرار الظاهري، إلا أنه فقد الحب والرضا الداخلي، وهو ما يشكل نقداً ضمنياً لقيم المادية والانصهار في المجتمع الجديد دون وعي أخلاقي أو ذاتي. كما تطرح القصة قيمة مهمة وهي الوفاء للذات وللأهل، حيث يظهر شعور البطل بالندم تجاه والديه ووطنه، مما يعكس صراع الضمير الأخلاقي.

وتقدم القصة أيضاً قيمة إنسانية مضادة وهي أهمية التوازن بين العمل والروح، إذ لا يكفي النجاح الخارجي إذا كان على حساب النفس والهوية، وهو ما يجعل النهاية مأساوية تحمل رسالة أخلاقية واضحة مفادها أن الغنى المادي لا يعوض الفقر الروحي.

باختصار، تعالج قصة "حي دفني" مأساة الإنسان المهاجر الذي ينجح خارجياً لكنه يموت داخلياً، لتؤكد أن القيمة الحقيقية للحياة ليست في المال أو المنصب، بل في الحفاظ على إنسانية الإنسان وتوازنه النفسي والأخلاقي[1].

ومن زاوية النقد الثقافي، فإن تركيز عبد المسيح حداد على النزعة الإنسانية والقم الأخلاقية في هذا المبحث لا يقف عند حدود التوجيه الوعظي أو الرصد الاجتماعي، بل يمثل صراعاً أيديولوجياً محتدماً بين نسق الأصالة الروحي الشرقي ونسق الاستهلاك المادي الغربي. فالنص يسعى مضمراً إلى ممارسة (المقاومة الثقافية)؛ حيث تجسد الشخصيات المتمسكة بأخلاقها آلية دفاعية لرفض "التشييئ" والرأسمالية الجافة التي تحاول سحق إنسانية المغترب وتدجينه. إن إبراز الكرم والشهامة الشرقية في الحكايات يعكس رغبة مضمرة في تعرية (الوعي الزائف) للحضارة الغربية، والانتصار للمركزية القيمية الذاتية كدرع يحمي الهوية من التفتت والذوبان الفكري في المنفى[2]

في ختام هذا المبحث، يتبين أن أدب المهجر عند عبد المسيح حداد لم يكن مجرد سرد لتجارب الهجرة والتنقل بين الأوطان، بل جاء بوصفه فضاءً إنسانياً عميقاً يكشف عن صراع الإنسان مع ذاته ومع محيطه الجديد، حيث تتقاطع التجربة الفردية مع التحولات الاجتماعية والنفسية التي تفرضها الغربة.

[1] حكايات المهجر ، عبد المسيح حداد ص 40

[2] .إدوارد سعيد، تأملات حول المنفى، ترجمة : ثائر ديب، دار الآداب، بيروت، 2004، ص 75

وقد أبرزت النصوص المدروسة، في إطار ما يقدمه عبد المسيح حداد، أن الشخصية المهجرية تعيش توتراً دائماً بين الحلم بالنجاح المادي في العالم الجديد وبين فقدان التوازن الداخلي والحنين إلى الجذور، مما يجعلها نموذجاً للإنسان المأزوم الذي يعيد اكتشاف ذاته داخل تجربة الغربة.

كما أظهر التحليل أن النزعة الإنسانية في هذا الأدب تقوم على تصوير الإنسان كقيمة مركزية، يعاني من الاغتراب الداخلي بقدر ما يعاني من الاغتراب المكاني، في حين تتجلى القيم الأخلاقية في نقد المادية المفرطة، والتنبيه إلى خطورة فقدان الهوية، والدعوة إلى التمسك بالبعد الإنساني في مواجهة صراعات الحياة الحديثة.

وبذلك، فإن أدب عبد المسيح حداد المهجري يثبت أن الهجرة ليست مجرد انتقال جغرافي، بل تجربة وجودية شاملة تعيد تشكيل الإنسان فكرياً ونفسياً وأخلاقياً، وتفتح أمامه أسئلة الهوية والمعنى في عالم متغير.

5) خلاصة :

نخلص في ختام هذا الفصل، الذي تتبعنا فيه الأبعاد الموضوعية والنفسية لصورة المهاجر في حكايات عبد المسيح حداد، إلى أن هذه الصورة لم تُقدَّم بوصفها نموذجًا أحاديًّا أو تمثيلًا سطحيًّا لتجربة الاغتراب، بل تجلت باعتبارها بنية ثقافية مركبة تتداخل داخلها الأنساق المضمرة وتتشابك فيها رهانات الهوية والانتماء. فمن خلال تحليل مسارات الشخصيات وتجاربها المختلفة، اتضح أن المهاجر يعيش حالة من التوتر المستمر نتجت عن الاحتكاك المباشر بثقافة الآخر وما يفرضه فضاء المهجر من تحولات اجتماعية وقيمية عميقة.

وقد كشفت المقاربة الثقافية أن مظاهر الاغتراب والحنين وأزمات الهوية التي تجلت في المتن القصصي، سواء من خلال استلاب الأسماء وإعادة تشكيل الذات، أو عبر التحولات التي مست البنى الأسرية والجندرية في سياق الهجرة، لم تكن مجرد انعكاسات نفسية فردية، وإنما كانت تعبيرًا عن صراع بين مرجعيات ثقافية مختلفة تتنازع وعي الشخصية المهاجرة وتحدد خياراتها ومواقفها. ففي الوقت الذي تستدعي فيه الذاكرة منظومة من القيم المرتبطة بالأصل والانتماء والروابط الإنسانية، تفرض تجربة المهجر على الذات ضرورة التفاوض المستمر مع واقع جديد تحكمه تصورات مغايرة للحياة والعمل والعلاقات الاجتماعية.

ومن ثم، يتبين أن الخطاب السردي عند عبد المسيح حداد لا ينحصر في تسجيل وقائع الهجرة أو وصف معاناة المغتربين، بل يتجاوز ذلك إلى مساءلة التحولات التي تصيب الإنسان حين يجد نفسه معلقًا بين عالمين مختلفين، محاولًا التوفيق بين الوفاء لجذوره الثقافية ومتطلبات الاندماج في بيئة جديدة. وبهذا المعنى، تكشف «حكايات المهجر» عن وعي نقدي مبكر بتعقيدات التجربة الاغترابية، وتطرح أسئلة جوهرية حول الهوية والذات والآخر، وحول قدرة الإنسان على صون خصوصيته الثقافية دون الانغلاق، والانفتاح على المختلف دون التفريط في مقومات انتمائه الأصيلة

خاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة الموسومة بـ «**صورة المهاجر في حكايات المهجر لعبد المسيح حداد**»، والتي تتبعنا فيها ملامح الشخصية المغتربة بأبعادها النفسية والفنية، مستضيئين بآليات **النقد الثقافي** ومقاربة الأنساق، نخلص إلى جملة من النتائج والمسردات المعرفية التي توثق قيمة هذا الأثر الأدبي:

أثبتت الدراسة أن صورة المهاجر العربي عند عبد المسيح حداد لم تقف عند حدود الرصد النفسي أو التوجيه الوعظي السطحي، بل شكلت **بنية ثقافية مركّبة مشحونة بالأنساق المضمرة** التي تعكس صراع الهوية والذات في بيئة المنفى.

كشفت المقاربة الثقافية للفصل الأول أن تجربة الاغتراب وحالات تمزق الشخصية (كما في قصة طنوس نجار) تعبر عن هيمنة **نسق استلاب الهوية** والخضوع الطوعي لمركزية الآخر الحضاري المهيمن مادياً.

بينت الدراسة التطبيقية لحكاية (تمثال الحرية) نجاح النص في رصد **تفكيك وخلخلة الأنساق الأبوية والسيادة الذكورية التقليدية** للمهاجر الشرقي؛ حيث فرضت البيئة الرأسمالية نسقاً مادياً نفعياً يعيد صياغة الموازين الأسرية بناءً على القوة الاقتصادية والإنتاجية لا المكانة الجندرية الموروثة.

تحول الحنين والشوق إلى الوطن في الحكايات (كحالة الشيخ أبو غانم) من مجرد عاطفة نفسية عابرة إلى **استراتيجية للمقاومة الثقافية الشعبية**؛ حيث رُفعت التفاصيل البسيطة إلى مصاف العلامات السيميائية الدالة الرافضة للتدجين الرأسمالي.

على المستوى الفني والسردي في الفصل الثاني، أظهرت الدراسة أن آليات الخطاب الروائي (التي قاربناها من خلال تصور سعيد يقطين) لم تكن أطراً شكلية محايدة، بل وُظفت كـ **قنوات أيديولوجية حمالة للأنساق الثقافية**؛ فتحول الفضاء المكاني (نيويورك ضد سوريا) إلى حيز للصراع بين الأصالة والآلة، وشُغِّل الزمن عبر الاسترجاع كآلية للدفاع عن الذاكرة الأم.

أسهم التعدد اللغوي والأسلوب الساخر والرموز الدالة (في قصتي مدينة الأمريكان ومدرسة الغربة) في **تعرية عيوب الجملة الثقافية وتفكيك الوعي المشوه والمنظومات القيمية المزيفة** التي مارسها بعض المهاجرين (خنفشاريو المهجر) للتغطية على عقد النقص أمام ثقافة الآخر.

خلص البحث إلى أن عبد المسيح حداد لم يكن مجرد قاصٍ يروي حكايات الجالية الشامية السورية في أمريكا، بل كان **مشرّحاً ومصلحاً ثقافياً واكَب الصدمة الحضارية الأولى**، وقدم مدونة أدبية

نجحت في كشف زيف المتخيل الثقافي البرّاق للغرب، والانتصار للمركزية القيمية الإنسانية والروحية للشرق.

المراجع والمصادر

أولاً: المصادر

حداد، عبد المسيح، حكايات المهجر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2021م.

ثانياً: المراجع باللغة العربية

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، (مادة: هـ ج ر).

- سراج، نادرة، أدباء الرابطة القلمية: دراسات في شعر المهجر، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1974م. (تم تصحيح الاسم العلمي للرابطة)
- عباس، إحسان، الشعر العربي الحديث، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1978م.
- عبد الدايم، صابر، ماهية أدب المهجر: دراسة تأصيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأملية في الأدب المهجري، ط1، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1993م.
- الغذامي، عبد الله، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت، 2005م. (المرجع الأساسي المضاف للنقد الثقافي)
- الناعوري، عيسى، أدب المهجر، ط3، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1986م.
- الناعوري، عيسى، اللغة العربية والأدب العربي، المجلد التاسع، طبعة دمشق، سوريا، 2004م.
- يقطين، سعيد، تحليل الخطاب الروائي: الزمن، السرد، التبئير، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت، 1997م.

ثالثاً: المراجع المترجمة

- بيرجر، أرتور آسا، النقد الثقافي: مقدمة تفصيلية للمفهوم والمنهج، ترجمة: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 2003م. (المرجع المضاف لتأصيل مفاهيم النقد الثقافي)
- سعيد، إدوارد، تأملات حول المنفى، ترجمة: ثائر ديب، دار الآداب، بيروت، لبنان، 2004م.

رابعاً: المقالات والمحاضرات العلمية

- بدون مؤلف، "حكايات المهجر: سرديات الحنين إلى الوطن"، جريدة عنب بلدي، ريف دمشق، سوريا، العدد 701، 16 نوفمبر 2023م.

- مجموعة أساتذة، "المرجع العام في السرديات"، محاضرات في مادة السرديات العربية الحديثة والمعاصرة، السنة الثالثة ليسانس (شعبة الدراسات الأدبية)، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة 1، الجزائر.